

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الأول



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- في هذا الفصل سيُعلِّق فضيلة الشيخ -بإذن الله تعالى- على متن كتاب "فضل الإسلام" للإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

❑ فضيلة الشيخ؛ لو تعطينا نُبذة عن هذا الكتاب وعن مؤلفه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى}.

- هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب "فضل الإسلام" للإمام العالم العلَّامة شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- وقبل الحديث عن الكتاب؛ نذكر **بعض ما يتعلق بمؤلف هذا الكتاب، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب** -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:
- الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النَّجدي، وُلد سنة ١١١٥ هـ، وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ عن إحدى وتسعين سنة، رحمة الله عليه رحمةً واسعة، وجزاه الله عمَّا قدَّم للمسلمين خير الجزاء.
- الشيخ محمد بن عبد الوهاب ألَّفَ مجموعة من المؤلفات، وهذه المؤلفات مطبوعة وموجودة ومتداولة.

- ونشأ في أكناف والده، وفي بيت علم، فكان أبوه من القضاة، ودرسَ العلم على والده، ثم رحل إلى المدينة ومكَّةَ ودرسَ العلم عند أكابر علماء مكة والمدينة.
- ثم رجع إلى بلده وجلسَ للتَّدريس والتَّعليم والدَّعوة إلى الله، وهو يرى ما عليه كثيرٌ من الناس وكثير من البلدان بحكم ذهابه إلى مكَّة ثم المدينة ثم الأحساء والعراق؛ فاطَّلعَ على أحوال العالم الإسلامي وعرف أحوال المسلمين، ورأى أمورًا مخلَّة بالشَّريعة.
- الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- توفي عام ١٢٠٦ هـ بعدَ جُهدٍ جهيدٍ في الدعوة إلى الله، واستمرَّ طلابه وتلامذته في الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وفي نُصرة الدين الإسلامي، وفي نُصرة التَّوحيد.
- ومن أبرز مؤلفات الشيخ: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو من أنفس الكتب.
- ولو نظرتَ إلى كتاب "التوحيد" لوجدتَّ أنَّه يقتصر على الآيات والأحاديث فقط، لا تكاد تتجاوز كلمات للشيخ محمد بن عبدالوهاب عدد الأصابع.
- وكذلك من مؤلفات الشيخ: هذه الرسالة التي بين أيدينا وهي "فضل الإسلام"، وهذه الرسالة بيَّنَ فيها مجموعة من النُّصوص الشَّرعيَّة من الآيات والأحاديث في فضل هذا الدين والشَّريعة الإسلاميَّة السَّمحة، وبيان محاسن الدين الإسلامي.
- والحديث عن فضل الإسلام ومحاسن الدين الإسلامي يدعو المسلم إلى التَّمسك بحقيقة هذا الدين كما جاء صافيًا عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون الشَّوائب التي أُلحقت من البدع والزيادات التي زادها المبتدعون.
- فشرائع الإسلام كلها حسنة، وكلها خير، وكلها بركة، فشرائع الإسلام كلها من التوحيد والعقيدة، وكذلك العبادات والمعاملات والأخلاق، وما يتعلق بالحقوق الزَّوجيَّة، وما يتعلق بالحقوق مع الآخرين، وما يتعلق بالعقوبات والتَّعزيرات؛ فأحكام الإسلام كلها خير وبركة.
- وتذكُّر هذه النّعم، وتذكُّر فضل الإسلام وبيانه ممَّا يُثبِّت المسلم على هذا الدين، وممَّا يُشجِّع غير المسلمين على الدخول في الإسلام.
- فمحاسن الدين الإسلامي من أسباب دخول الناس في دين الله أفواجًا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].
- فينبغي أن نتذاكر هذه الرسائل مع أنفسنا وأولادنا ومَن حولنا، وأن نستشعر نعم الله علينا، فهذا كله يشجع المسلم على الثَّبات على الحق، والعزوف عن الباطل وأهله؛ وهذا يُقوّي الإيمان ويثبت الإسلام.
- والشيخ هنا ذكر فضل الإسلام أولًا، ثم ذكر الأمور العمليَّة الحياتيَّة في الإسلام، يعني المنهج الذي يسير عليه المسلم، فإذا دانَ به وسار عليه سلم من البدع والضلالات -بإذن الله تعالى- فالكتاب يعتبر تطبيق منهج عملي للمسلم.

- والكتاب مكوَّن من عدَّة أبواب، بدأها بباب "فضل الإسلام" ثم يتسلسل في التبويب، فذكر:
  - باب وجوب الإسلام، باب تفسير الإسلام.
  - باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].
  - باب في وجوب الاستغناء بمتابعته -يعني القرآن.
  - باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام.
  - باب وجوب الدخول في الإسلام كله.
  - باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر.
  - باب ما جاء أن الله احتجزَ التوبة على صاحب البدعة.
  - باب قول الله تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥].
  - باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠].
  - باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء.
  - باب التَّحذير من البدع.

- {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب فضل الإسلام
- وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].
- وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صلاة الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شيئًا؟ قَالُوا: لا، قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

❑ وفيه أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وللنَّصَارَى يَوْمُ الأحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفيه تعليقًا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».

❑ وعن أبي بن كعب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ، فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إلا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّتْ عَنْهَا وَرَقُهَا، وَإِلا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلافِ سَبِيلِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ".

❑ وعن أبي الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "يَا حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَعِيبُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وَصِيَامَهُمْ، وَلَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍّ مِنْ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَفْضَلُ وَأَرْجَحُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ عِبَادَةً مِنَ الْمُغْتَرِّينَ")}.

- قبل أن نبدأ الشرح في كل نصٍّ من هذه النُّصوص الشرعية؛ أحاول أن ألفت انتباه المشاهد الكريم والطالب الذي يُريد الفائدة؛ أُنظر للآية مرَّةً بعدَ مرةٍ، من أين تستخرج منها بيان فضل الإسلام؟

☑ **الآية الأولى** في سورة المائدة واضحة جدًّا، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

☑ **الآية الثانية** قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤].

- إذن؛ أنا لستُ في شكٍّ من ديني، فالإسلام دين يقينٍ وليس فيه شك.

☑ **الآية الثالثة** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، يعني ضعفين من رحمته.

- وزيادة على هذا ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨]. فهذا ثوابٌ عظيم مترتِّبٌ على الإسلام، كفلين من رحمته، ونورٌ تمشون به، ويغفر لكم؛ كل هذا جزاء للمسلم الذي دخل الإسلام. الله أكبر!

- أمَّا حديث ابن عمر فهو صريح في مُضاعفة أجور مَن اتَّبعَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وحديث أبي هريرة في فضل الجمعة، وأنَّ الله هدى أهل الإسلام ليوم الجمعة وهم الآخرون في الزَّمن وتاريخ الأمم، فهم آخر الأمم الآن هم أمَّة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ولكنَّهم هم الأوَّلونَ يوم القيامة.

إذن؛ كل هذه الأحاديث تدلُّ على فضل الإسلام، وأنَّه حنيفي سمح ليس فيه شدَّة.

النَّص الأول: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

- قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

متى نزلت هذه الآية؟

سمع يهودي عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقرأ هذه الآية، فقال اليهودي: لو أنَّا معشر اليهود نزلَت علينا هذه الآية لاتَّخذنا ذلك اليومَ عيدًا.

فقال عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إنِّي أعلم أيَّ يومٍ نزلت. نزلت يوم الجمعة عشيَّة عرفة في حجَّة الوداع، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واقفُ بعرفة".

إذن؛ هذا اليوم هو يومٌ مُعظَّمٌ عند المسلمين، وهو يومٌ له شأنٌ كبيرٌ عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فكان يوم عرفة يوم جمعة وهو عيد الأسبوع.

وقوله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "عشية عرفة"، أي: بعدَ الزَّوال، فالعشي يُقال لِمَا بعد الزَّوال إلى ما قبل غروب الشَّمس.

◆ فوائد من قوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

- **الفائدة الأولى:** هذه منَّةٌ، أنَّ الدين كامل؛ لأنَّ في الأمم السابقة كان الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُتابع عليهم الأنبياء والرسل لحاجتهم إليهم، حتى يعرفوا أحكامه، أمَّا في هذه الأمَّة فقد أكمل الله -عَزَّ وَجَلَّ- الدين، وأتمَّ هذه النعمة.

- **الفائدة الثانية:** أنَّ هذه الآية حُجَّة لكل سُنِّيٍّ على مَن ابتدع في دين الله، فالمبتدع إذا ابتدع عقيدة فاسدة، أو ابتدع عبادةً ضالَّة، أو ابتدع ذكرًا أو أي شيء من البدع؛ يقول له السُّنيُّ: لماذا ابتدعتَ هذه البدعة؟

- فيقول المبتدع: أتعبدُ وأتقرَّب إلى الله.

فهل هذا في القرآن وفي السنَّة وأجمع عليه الصحابة؟

- إن قال في القُرآن والسنة فعلى العين والرأس، أي شيء في القرآن والسنة يجب علينا أن نطيع الله ورسوله فيه، لكن البدع ليست في القرآن ولا في السنة، فإذا كانت ليست في القرآن ولا في السنة ولم يفعلها الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- فهذه بدعة، وليست من الدين في شيء؛ لأنَّ الله يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

- فإذا قال: هذه بدعة حسنة.

فنقول: ليس في الدين الذي أكمله الله -عَزَّ وَجَلَّ- بدعة حسنة؛ لأنَّه إن كان من الدين الذي أنزله الله فهو ليس بدعة وليس إضافة، وإن كان ليس من الدين فلا حاجة لنا به.

- فإذا قال: نحتاجها لنكمِّل الدين.

نقول: هل الدين ناقص؟ هل يجرؤ مسلم أن يقول إنَّ الدين ناقص؟!

- لا يجرؤ مسلم أن يقول إن الدين ناقص، وإذا صرَّحَ بهذا وقال إنَّ الدينَ ناقص وأنا كمَّلته فقد كذَّبَ قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

✸ **الفائدة الثالثة:** قوله ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، هنا إشعارٌ للمسلم بنعمة الإسلام، والله -عَزَّ وَجَلَّ- أضافها لنفسه المقدسة، وهذا يدل على شرفها، فأنتَ لَمَّا تدين بدين الإسلام فأنت الآن قد أعطاك الله شرفًا عظيمًا ونعمةً كبرى، فمما يدل على شرفها أنَّ الله أضافها لنفسه، فهي تامَّة، وليست بحاجة إلى تكميلٍ، ولكن الشَّأن أن تجتهد في العمل بما هو من هذا الدين.

✸ **الفائدة الرابعة:** قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾، في الآية مفهوم صريح -منطوق- للآية، ومفهوم مخالفة.

➤ **أما مفهوم المنطوق:** هو أنَّ الإسلام رضيه الله دينًا، فمَن دانَ به فإنَّ الله يرضى عنه، ولا يرضى الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلَّا به.

➤ **ومفهوم المخالفة:** أنَّ مَن لم يأتِ بالإسلام فلن يرضَى الله عنه، فمن لقيَ الله وهو يهودي، ومن لقيَ الله وهو نصراني أو مجوسي أو مُلحد، أو غيرهم من الكفَرَة؛ فإنَّ الله لا يرضى عنه، وهو محل سخط الله، وهذا يؤكده قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

- وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ مثل قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[١]، لأن الإسلام المنزَّل على محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إذا عملت به يرضى الله عنك، أمَّا الإضافات التي تحدثها والبدع التي تزيدها لن تُقبَل منك وهو قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

---

[١] أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له.

إذن الدين المرضي هو الإسلام، وهو ما أنزله الله على محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، اطلبه تجده في القرآن وفي صحيح السُّنَّة وما كان عليه الصحابة.

الآية الثانية: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤].

- قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾، أي: إن كنتم في شكٍّ من الإسلام دين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فنحن لسنا في شكٍّ من دين الإسلام، فنحن على يقين.
- قال تعالى: ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فنحن لا نعبد الذين تعبدون من دون الله، فلا نعبد عيسى ابن مريم، ولا نعبد جبريل ولا ميكائيل، ولا نعبد الأولياء، ولا نعبد غيرهم ممَّن يُعبد من دون الله.
- قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾، فيه دلالة على الأمور الرُّبوبيَّة، فلا أحد يدفع الموت عن نفسه لا من الجن ولا من الإنس، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ولو أُتيَ بأمهر الأطباء والمستشفيات وأراد الله لرجل أن تُقبَض روحه فلا يستطيعون إمساكها أو تأخير الموت، فهذه آية ربَّانيَّة تدلُّ على ربوبيَّة الله، فهو الذي يُحيي ويُميت، ولكن هنا يُبيّن أن توحيد الألوهيَّة مرتبطٌ بالربوبيَّة، فمن أتى بالرُّبوبيَّة يلزمه أن يُوحّد الله في ألوهيَّته، لكن المشركين يتناقضون، فهم يعرفون الرُّبوبيَّة ويُنكرون الألوهيَّة، وهنا الآية للرَّد عليهم في قوله: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾، فقد قهركم -جلَّ وعَلا- وقهر جميع العباد، فهو الذي يُحيي ويُميت، وهو القاهر -سبحانه وتعالى- فوق عباده.
- فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأتباعه ليسوا في شكٍّ من الإسلام، ولا يقعون في الشِّرك، وهذه الآية مثل قول الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [سورة الكافرون].
- ويُستفاد من هذه الآية:
  - أن دين الإسلام دين يقين لا شكَّ فيه.
  - ليس في عقائد الإسلام تناقض.

الآية الثالثة: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

- كل هذه الفضائل تحصل إذا آمنت بالله وبرسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واتَّقيتَ الله، فإذا دخلتَ في دين الإسلام وثبتَّ عليه؛ فكل هذه الفضائل والأجور تحصل لك:
- ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، أي: ضعفين.

- ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، أي: نور الكتاب والسنَّة، وهو نور القرآن العظيم، به تعرف الحق من الباطل، وتعرف الهدى من الضَّلال، تعرف السُّنَّة من البدعة، تعرف الطاعة من المعصية، فهو فرقان تعرف به الحق والباطل، وتعفر به الضلالات فتحذرها، وهذا النور العظيم بعض الناس فقدَه فلا يدري ما هي السنة وما هي البدعة، وما يدري ما هو الكفر والإيمان، ولا يدري ما هو الحق والباطل -نسأل الله العافية والسلامة.

- ولا يتأتَّى للإنسان معرفة الهُدى والحق ومعرفة السنة ومعرفة الطاعة إلَّا بنور الكتاب والسنة، فيتعلَّم ويدرس على حسب ما يعطيه الله -عَزَّ وَجَلَّ- من العلم، ولكن من فقدَ هذا النور فوالله لا يُمكن أن يُفرّق، فيضل ويتيه -نسأل الله العافية والسلامة.

- فهذا النور تجده في الإسلام، فاحمد الله يا مسلم على هذه النّعمة، فأهل الأهواء وأهل البدع وأهل الضلالات وأهل الغفلة وأهل الشرك لا يفرقون، وأنت تُفرّق، فهؤلاء الضُّلَّال إذا مرض المريض منهم ربَّما يذهبون به إلَّا السَّاحر، ولا يدرون أنه يزداد مرضًا ويزداد فسادًا في عقيدته وضلالًا في دينه، فيأتي الساحر ويقول له: اذبح وافعل...؛ فيستجيبون للسَّحرة والكُهَّان، ويُصدِّقون المنجِّمينَ، ويصدِّقونَ الأبراج!

- قوله: ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، فلو أنَّك الآن تمشي في الطريق وبه حُفر وعقارب سامَّة وحيَّات لادغة قاتلة، وأضرارٌ متنوّعة؛ وأنت عندك نورٌ تُبصر به أن توضع قدمك حتَّى تتقي هذه الضلالات، وهكذا المسلم الموحِّد الذي أنعمَ الله عليه بنور الكتاب والسُّنَّة.

- قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فكلنا نرجوا أن يغفر الله لنا، وفي الحديث القدسي يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِيْ بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِيْ لَاتُشْرِك بِيْ شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً**»[٢].

- إذن؛ كل هذه فضائل الإسلام دلَّت عليها الآيات، وليس المقصود من المؤلف محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أن يحصُر جميع الآيات التي فيها فضل الإسلام، ولكنَّه أعطانا ثلاث مواضع من القرآن كلها تدل على فضل الإسلام، وفضل هذه النِّعمة، وإذا تدبَّر الإنسان هذه الآيات وتفكَّر في نفسه وفيمَن حوله عرفَ نعمة الإسلام التي أنعم الله بها عليه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

[٢] أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) واللفظ له، وأحمد (١٣٤٩٣).

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الثانى



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- وصلنا إلى حديث ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- حيث يقول الشيخ: (عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صلة الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلاً وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شيئا قَالُوا: لا. قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»).

- فهذا الحديث العظيم ذكره العلماء في تفسير سورة الحديد في الآية التي سبق قراءتها في الدس الماضي، وهي قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وهذا الفضل العظيم لمن آمن بالرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ودخل في دين الإسلام. فذكر العلماء هذا الحديث في شرح وتفسير هذه الآية الكريمة.

- وضرب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في هذا الحديث مثلًا عظيمًا لنعرف ونفهم ونقيس ونتنبه ونعتبر، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، وأمثلة القرآن وأمثلة السنَّة النبوية الصحيحة كلها حق، وكل جزء من هذه الأمثلة يُستفاد منه الفوائد والعبر والأحكام الشَّرعيَّة. يقول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

- قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ»، يعني: اليهود والنصارى.

- فالله -عزَّ وجلَّ- أرسل موسى -عليه الصلاة والسلام- إلى اليهود، وأرسل عيسى -عليه الصلاة والسلام- إلى النصارى؛ فآمن بموسى من اليهود من آمنَ، ثم دخل في دينهم التحريف والتبديل، ثم زاد ووقع فيهم الكفر والانحراف على الدين، ثم بدلوا الدين الذي أنزل عليهم، وصاروا على حالٍ لا يقبلها الله -عزَّ وجلَّ-، وهكذا النصارى، فكان أول الأمر أن الذين آمنوا بعيسى -عليه الصلاة والسلام- على التوحيد وعلى الاستقامة على ما أنزل على نبيهم، ثم حدث فيهم مثل ما حدث في اليهود، ولهذا جاء في حديث عياض بن حمار المجاشعي أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «وإِنَّ اللهَ نظر إلى أهْلِ الْأَرْضِ، فمقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إِلَّا بقَايَا من أهْلِ الْكِتَابِ»[٣]، يعني أبغضهم إلَّا أفرادًا عديدين هم الذين استقاموا على ما أنزل عليهم.

- وبعث الله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بعد فترةٍ من الرسل، وهذه الفترة حدث فيها من التحريف والتبديل ما حدث.

- ونستفيد من هذا المثال بما ذكره النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فقال: «كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ».

الأجير: هو العامل بالأجرة، وهو موضَّح في الحديث.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صلة الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ»، يعني معاشر المسلمين.

- قال: «فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلاً وَأَقَلَّ عَطَاءً؟»، وهذا من الاعتراض غير المحمود، وهذا من الحسد المذموم.

- فجاء الجواب مسكتًا لهم وداحضًا لِمَا قالوه من حجَّةٍ غير مستقيمة في قوله: «قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شيئا؟ قَالُوا: لا»، يعني: هذا الأجير قيل له اعمل على قيراط، المدة نفس المدَّة.

- قوله: «قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يؤتينا وإياكم وجميع المسلمين من فضله العظيم.

---

[٣] صحيح مسلم (٢٨٦٥).

- وهذا يدل على فضل الإسلام، وفضل أهل الإسلام عند الله -عزَّ وجلَّ-؛ أنهم أقل عملًا وأكثر ثوابًا.

- ولهذا فنحن نقول لكل يهودي ولكل نصراني الآن: إذا أسلمتَ واتَّبعتَ محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- آتاكَ الله أجركَ مرتين، وأعطاك الله هذه الفضائل كلها، فلك أجر الإيمان بالرسول السابق -إن كان إيمانك صحيحًا- ولك أجر الإيمان بخاتَم الأنبياء والمرسلين -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وهذه دعوةٌ لكلِّ أهل الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فمن دخل في دين الإسلام أعطاه الله أجورًا مضاعفَة، ومن بقيَ منهم على اليهوديَّة أو النَّصرانيَّة الآن فهو كافرٌ بالله وليس له أجرٌ وليس له ثوابٌ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فهذا الحديث العظيم فيه فضل أهل الإسلام.

- ومن فضل الله على أهل الإسلام: أن الله -عزَّ وجلَّ- أكرمهم فخفَّفَ عنهم ويسَّر لهم الدين، فالصلوات الخمس أجرها خمسون، وليلة القدر خير من ألف شهر، يعني: ثلاثة وثمانين سنة، وهكذا في بقيَّة الأعمال والأذكار والعبادات؛ يسَّرها الله -عزَّ وجلَّ- وضاعفَ لهم الأجر والثواب، فالحمد لله على هذه النِّعمَة.

❑ ننتقل للحديث الذي بعده، وهو حديث أبي هريرة، قال المؤلف: (وفيه أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَة-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»).

- يُبيِّن -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في هذا الحديث ما أكرمَ الله به أهل الإسلام من الهداية إلى يوم الجمعة، والله -عزَّ وجلَّ- خصَّهم بتعظيم هذا اليوم، وهو يوم عبادة للمسلمين، وهو يوم عيد أسبوعي للمسلمين، وهذا اليوم معظَّمٌ عند الله -عزَّ وجلَّ- وقد ضلَّ عنه اليهود والنصارى، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا»، يعني أن الجمعة هي التي فيها الفضل، حتى في الزمن السابق، لكن الله -عزَّ وجلَّ- جعل هذا خاصًّا بهذه الأمَّة منَّةً منه وكرمًا وفضلًا.

- واليهود صارَ لهم يوم السبت، فهم يُعظِّمونَ يوم السبت، فالعيد الأسبوعي عند اليهود يوم السبت، فيخصُّونه بالعبادة ويعظِّمونَه، ويُعطِّلونَ فيه الأعمال، وكذلك صارَ للنصارى يوم الأحد، فصاروا بعدنا، فسبق أهل الإسلام بيوم الجمعة، فسبقوا في الزَّمن؛ لأن يوم الجمعة قبل يوم السبت وقبل يوم الأحد، مع أنَّ أمَّة اليهود وأمَّة النصارى قبلنا في وجودهم، ولكن الله -عزَّ وجلَّ- أضلَّ عنهم هذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة، وهذا من تكريم الله -عزَّ وجلَّ- لهذه الأمَّة ولأهل الإسلام، فأهل الإسلام هم الآخرون من جهة الزَّمن، فإذا نظرت إلى آدم -عليه الصلاة والسلام- أبو البشر ومَن جاء بعده من الأمم والخلائق؛ فآخر أمَّة وآخر ملَّة هي ملَّة النبي

محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وملَّة الإسلام، ومع ذلك فهم يوم القيامة هم أسبق الناس إلى الجنَّة، فالحمد لله على هذه النعمة، نسأل الله أن يثبتنا على الإسلام والسنة.

- قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وفيه تعليقًا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ)، يعني: تعليقًا في صحيح البخاري.

- قال: (أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»)، يعني: أنَّ البخاري رواه معلَّقًا واختصره.

- وليس معنى الحديث المعلَّق أنه ليس له سند؛ بل هو له إسناد، ولكن المؤلف -كالبخاري- اختصره لحكمةٍ أو لغايةٍ، أو لأن بعض الرواة في هذا السند ليسوا على شرطه، أو لأنَّه لم يثبت عنده.

- وهذا الحديث صحيح وهو قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، فأهل الإسلام يجب أن يكونوا حنفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وكان الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يعلم أمته أن يقولوا في الصباح والمساء: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[٤].

- والحنف: هو الذي ترك الشرك وأقبل على الإسلام.

- وذكر هذا المعنى لأن فيه نفيٌ وإثباتٌ، فالحنف فيه نفي وإثبات، فالحنيف هو الذي أعرض عن الشرك وتبرأ منه، وأقبل على التوحيد والإسلام وتمسَّكَ به، ولهذا قيل في تعريفه: هو المقبل على الله المعرض عمَّا سواه.

- والسَّمحة: من السَّماحة، وهي السهولة واليسر، فليس في الدين الإسلامي آصار، وليس فيه أغلال، ولا يرضى بالتشديد والتكلُّف والتَّنطُّع؛ بل حرَّمه واخبرَ أنَّ أهله هالكون، وحرَّم الغلو في الدين، فهذا الدين دينٌ سمحٌ، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «صَلِّ قَائِمًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فالذي لا يستطيع لا يجب عليه الحج، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال في العاجز: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فالحمد لله، ديننا دين سماحةٍ ويسرٍ، وهذا من فضل الله -عزَّ وجلَّ.

- إذن؛ هذه صفات هذا الذين، والذي يشدد في الدين ويخرج عن الشريعة فقد خرج عن الإسلام، والذي يُكلِّف نفسَه ما لا تُطيق لم يرضَه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- رأى حبلًا

---

[٤] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠١٧٥)، وأحمد (١٥٣٦٣) واللفظ له.

[٥] صحيح البخاري (١١١٧).

ممدودًا في المسجد فقال: «مَنْ هَذِهِ؟». فقيل: لفلانة تصلي في الليل، فإذا فترت تعلقت به حتى لا تنام. فقال: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا»[٦].

- وقوله هنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» فيه تشجيع للمؤمن أن يلزم هذا الطريق، فإذا أردتَّ أن تتديَّن وتتعبَّد وتتقرَّب؛ فلا تتديَّن ولا تتعبَّد ولا تتقرَّب إلَّا بما جاء في هذا الدين من السماحة والسهولة، مع البراءة من الشرك والثبات على التَّوحيد.

❑ **قال المؤلف:** (عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِن اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ").

- قوله: "عليكم بالسبيل والسُنة". السبيل هو: الطريق الذي كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ورُوي عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَسَارِهِ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»[٧]، وَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

- فعليكم بالسبيل، فهو طريق الإسلام، شريعة الإسلام، منهاج الإسلام، يدخل فيه الأركان الخمسة، ويدخل فيه واجبات الدين وأركان الإيمان الستَّة، ويدخل فيها كل ما أوجبه الله -عزَّ وجلَّ- وأوجبه رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فنفعله، وترك ما حرَّمَه الله وحرَّمه رسوله.

- قال: "عليكم بالسبيل والسُنة". يعني في تعبُّدكم وتقرُّبكم إلى الله الزموا سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، يعني: وافقوا ما فعله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في جميع عباداته، وفي جميع الدين.

- القرآن واضح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، حظَرَ السُّبل كلها، فعليكَ بسبيل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فقط، اسأل عنه وابحث عنه، ابحث واقرأ وتعلم، جاهد نفسك حتى تكون على هذا السبيل.

- قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، السُّبل هنا: الشبهات والأهواء.

---

[٦] روى البخاري (٤٣) ومسلم (٧٨٥).

[٧] أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٧٤)، والبزار (١٨٦٥) واللفظ له.

◆ هل الشهوات تدخل في السُّبل؟

- بعض العلماء يذكر هذا، ولكن المشهور عند المفسرين أنها الشبهات؛ لأن من فعل الشهوة المحرمة وهو يدرك أنها محرَّمة فهذا يعد عاصيا، بخلاف من اتَّبعَ الشبهة فهذا يعد مبتدعًا، والمبتدع أخطر من العاصي؛ لأن العاصي مآله أن يتوب، وهو يفعل معصيته يشعر أنه مذنب، أما المبتدع الذي اتبع سبل الباطل والشبهات فإنه يرى أنها حق، ويستمر عليها -نسأل الله العافية والسلامة.

- وفي مقابل الفِرَق التي تتديَّن للبدعيَّة؛ هناك فِرَق تنحو منحا ضلال آخر وهو ضلال الانحلال من الدين كالعلمانية والليبراليَّة والحداثة، ولا يقبلون من النصوص إلا ما وافق عقولهم ويردون السُّنَّة؛ فهذه كلها من سبل الشيطان.

- فأبي بن كعب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ينصح المسلمين فيقول: "عليكم بالسبيل والسنَّة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسُنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار".

◆ هل هذا الأثر فيه رد على المرجئة؟

- نعم، لابدَّ من العمل، ولا يمكن أن يكون على السبيل والسنة بقلبه فقط ويترك العمل، فالسنة والسبيل أعمال وأقوال واعتقادات، ليست فقط عقيدة في القلب دون عمل، وهذا الأثر الذي خرج في عينيه فدمعت عيناه من خشية الله ناشئ عن عمل قلبي أيضًا، وهو خشية الرب سبحانه وتعظيمه في القلب، فأعمال القلوب وأعمال الجوارح من الإيمان، وهي سبب دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، فلا يكفي مجرد الاعتقاد أو القول فقط.

- قال: "وإنَّ اقتصاداً في سبيلٍ وسُنةٍ خيرٌ من اجتهاد في خلاف سبيلٍ وسُنة".

◆ ما معنى الاقتصاد في السنة؟ وما معنى الاجتهاد في البدعة؟

- أنَّه لو ابتدع الإنسان بدعةً وصار يعبد الله -عزَّ وجلَّ- بهذه البدعة، ويتعبَّد لله -عزَّ وجلَّ- بها، مثل أن يظن أن الصلاة عند الضريح أو عند قبر الولي الفلاني لها أجر، ويظن أن هذا يقربه إلى الله، فصار يتعمَّد ويتقصَّد أن يأتي عند أصحاب القبور فيصلي لله عندهم؛ فهذا مبتدع في الدين، فإذا دعاهم من دون الله أشرك، فلو جلس هذا يصلي الليل كله؛ فهذه بدعة، وهو ضال لا يقبل الله -عزَّ وجلَّ- منه هذا العمل، حتى لو بكى من خشية الله، ولو فعل ما فعل؛ لأنه داخل في عموم قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، يعني: مردود عليه، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعةٌ، وإنَّ كلَّ بِدْعةٍ ضَلالةٌ»[٨].

- ولو قام واحد ليلة السابع والعشرين من رجب وقال: هذه ليلة الإسراء والمعراج أقوم الليل فيها.

---

[٨] سنن أبي داود (٤٠٦٧)، سنن الترمذي (٢٦٧٦) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤).

- نقول: ليس لك أجر، وعملك حابط؛ لأن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

- إذن؛ عليك بالسبيل والسنة، فلم يرد في سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أن تخصص هذه الليلة بالقيام أو بأي عمل من العبادات، إذا جاء دليل صحيح ثابت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فعلى العين والرأس، وجميع المسلمين يسابقون إليه، أما أن يخترع الناس هذا الشيء فتتابعهم؛ فهذا ليس على سبيلٍ ولا سنَّةٍ.

- وفي هذا الأثر ذكرَ حالين من أحوال أهل الإيمان، وقد ذكر الله -عزَّ وجلَّ- الأحوال التي تعرض للمؤمنين، وهي أحوالٌ محمودة، فلا نتجاوزها، لأنَّ بعض الصوفيَّة وبعض المبتدعة يتجاوزون هذه الأحوال إلى أحوالٍ باطلة.

❑ **الأثر الأخير، قال المؤلف: (وعن أبي الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين").**

- وأبو الدرداء: هو عامر بن عويمر، من خيار الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وكان يُقرئ القرآن ويُدرِّسه.

- فكان هؤلاء الصحابة مع تدريسهم للقرآن يُعلمون الناس السُّنَّة، وهذا الذي ينبغي لكل مَن انبرى لتعليم المسلمين القرآن والسُّنَّة والسيرة والفقه أن يعلمهم الاتباع وترك الابتداع.

- قال: **"نوم الأكياس وفطرهم"**.

- الأكياس: جمعُ كيِّسٍ، والكيِّس هو العاقل الفطِن، يعني الذين انتهوا وعرفوا الطريق الصحيح فلزموه، بخلاف المغفل الأحمق الذي يمشي من هنا ومن هنا ويتخبَّط في الدين، ويتخبَّط في أموره وحياته، أمَّا الكيس فهو عاقل، فإذا قيل له: هذا الذي يُحبه الله، وهذا هو الذي فعله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: مشى عليه. فهذا هو الذي يكون محلَّ إعجابٍ وثناءٍ.

- قال: "يا حبذا نوم..."، أبو الدرداء يمدح النوم!

- نعم؛ لأنَّ نوم هؤلاء خير من صيام أولئك الحمقى وقيامهم، ويقصد بـ "الحمقى" المبتدعة، فصيامهم مبتدَع، وقيامهم مبتدَع، وكذلك يدخل فيهم الخوارج، فهم يصومون ويقومون، ولكنهم حمقى حقيقة لأنهم ما انتفعوا بصومٍ، ولا انتفعوا بصلاة بسبب بدعة الخروج، وهكذا سائر المبتدعة.

- قال: "يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم"، كأن تصبح في يوم ليس من رمضان فتفطر، وآخر يصوم صيام بدعة، أو يصوم وهو مع الخوارج أو الروافض أو أهل البدع والأهواء، ويتقرب إلى الله بتلك البدع؛ فأيهما أفضل؟

- صاحب السنة الذي نام الليل وحافظ على الفرائض وصاحب السنة الذي أفطر في النهار؛ فهذا أحب إلى الله، وهذا هو محل الإعجاب، بخلاف الأحمق الذي خالف السنَّة وابتدع في الدين، فحتى لو سهر بالقيام

وصام بكثرة الصيام فإنه لا ينتفع بهذا مهما فعل، لأنه على حماقة، وهي مخالفة السنة النبوية، فيا بئس هذا الحال!

- ثم قال -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "**ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين**".

- <u>فالشيء اليسير من الصدقة مع اليقين والسنة والاتباع أفضل من عبادة المغترين،</u> كأن ينفق واحدٌ الملايين في بدعة المولد وهذا يُنفق شيء يسير تمرة أو نصف تمرة في إطعام مسكين متَّبع لسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وهذه المعاني كلها تدل على وجوب التَّمسُّك بالسُّنَّة، وأنَّ هذا الدين دين يسر، وأنَّ البدع ليست من اليسر، وهذا من فضل الإسلام ولله الحمد، فإذا وفَّقكَ الله للعبادة المشروعة على السنَّة النبوية وتزودتَّ منها فالحمد لله، وأهم شيء في هذا الدين أن تسلم من البدع، وأن تترك البدع وتبتعد عنها.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الثالث



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب وجوب الدخول في الإسلام
- وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].
- قال مجاهد: " السبل: البدع والشبهات ".
- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أخرجاه، وفي لفظ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قال رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:
- «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-

قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ». رواه البخاري.

- قال ابن تيمية-رحمه الله: قوله "سُنة الجاهلية": يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص، كتابية أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون.
- وفي الصحيح عن حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فإن استقمتم فَقَدْ سَبقتم سَبْقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضلالا بَعِيدًا".
- وعن محمد بن وضاح: أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحِلَق فيقول: فذكَرهُ، وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم")}.

- قوله: (باب وجوب الدخول في الإسلام)، يعني: الدخول في هذا الدين والتَّمسُّك به.
- قوله: (قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]).

مَن دانَ بغير دين الإسلام فإن الله -عَزَّ وَجلَّ- لا يقبل منه، وهو من الكافرين والخاسرين، فالدين عند الله هو الإسلام، وإذا ابتغى دينًا غير دين الإسلام فصار يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا أو وثنيًّا أو مُلحدًا؛ فإنَّ الله -عَزَّ وَجلَّ- حكم عليه بأنه لن يُقبَل منه أي عملٍ ولا طاعةٍ ولا قُربَة.

- وقوله: ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، أي: من الخالدين في نار جهنَّم، خسر الدنيا وخسر الآخرة، فهذا حكم جميع الأديان سوى دين الإسلام.
- <u>ويُستفاد من هذه الآية:</u>

أنَّ مَن ابتغى التَّقرُّب إلى الله وهو مسلم، ولكنه ابتدع في إسلامه؛ فلن يُقبَل منه ما ابتدع فيه؛ لأن هذه البدعة ليست من الإسلام.

- فقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا﴾، تقدَّم معنى أصل الدين، والمعنى التفصيلي: حتى مَن أراد أن يتقرب إلى الله ويتديَّن ويتعبَّد بشيءٍ لم يشرعه الله -بل هو من البدع- فلن يُقبل منه، وهذا مثل قوله «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩]، <u>أي: إنَّ الذي يُحبه الله -عَزَّ وَجلَّ- ويرضاه ويقبله هو الإسلام فقط، ولا دينَ عند الله إلا الإسلام</u>، فعلى كل الأرض -جنّهم وإنسهم، عربهم وعجمهم- أن يدينوا

بهذا الدين، وهو دين الإسلام الذي بُعث به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ويسألوا حتى يسلكوا شريعته، ويدخل في دين محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإن لم يفعلوا هذا وماتوا على أديانهم الباطلة؛ فإنهم في نار جهنم خالدين مخلدين فيها -نسأل الله العافية والسلامة.

- فالدخول في دين الإسلام ليس أمرًا اختياريًّا؛ بل هو واجبٌ على كل الخلق -الجن والإنس، العرب والعجم، الذكور والإناث.
- وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فهذا ليس معناه التخيير، وإنما معناه التَّهديد، والمعنى: أنَّه سيرى عُقوبة كفره، وسيرى مآله ومصيره إذا كفر.
- والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- دعا إلى الإسلام، فهناك مَن استجابَ وهناك مَن أبى، فتعامل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مع الذين أبوا بتعاملات مختلفة:

☑ تعامل يتعلق بالمعاهدينَ.

☑ بتعامل يتعلق بأهل الذِّمَّة.

☑ تعامل يتعلق بالمستأمنين -أهل الأمان.

☑ تعامل يتعلق بالمحاربين.

- فتعامل -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- معهم في حال ضعف المسلمين، وفي حال قوَّة المسلمين؛ فلنا به الأسوة الحسنة -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهو الذي قال: «**أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ ونَفْسَهُ إلَّا بحَقِّهِ، وحِسابُهُ علَى اللَّهِ**»[٩].
- ولم يُكرِه نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- اليهود والنصارى على الدخول في الإسلام، وأنزل الله -عَزَّ وَجلَّ- قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولهذا فلو أسلم الرجل بالإكراه والقوة؛ فإنَّ إسلامه لا ينعقد.

◆ **فما الجمع بين قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ» والآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؟**

- **الجواب**: النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لم يقل: "أمرت أن أقتل الناس"، فالقتال هو الجهاد في سبيل الله، وهذا في حال قوَّة المسلمين، فيؤمر بالدعوة إلى الإسلام، ويُؤمَر قادة المسلمين بنشر هذا الدين، فمن وقفَ أمام الدعوة وأمام نشر الإسلام يُقاتَل، ثم يُعرَض هذا الدين على الناس، فمن أسلمَ فله الأجر في الدنيا والآخرة، ومن أبى فهو من الكفار، فإن كان من اليهود والنَّصارى فلهم أحكام ذمَّة، أو أحكام العهد، أو أحكام الأمان؛ فلا يُكره على الإسلام بالقوَّة والتهديد. فهذا من الأمور المعلومة عند أهل الفقه والعلم.

---

[٩] أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠).

- ونقول له: يجب عليك الدخول في الإسلام، فإن لم تُسلم فأنتَ كافر وأنت على خطرٍ، وأنت من الخاسرين الهالكين.
- __القاعدة الكبيرة:__ يجب على كل أهل الأرض أن يدخلوا في هذا الدين ويتَّبعوا الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فمن دخل في هذا الدين أسلم، ومَن أبى فهو من الكافرين.
  - ودلَّ على هذا المعنى قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].
  - وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة ١-٧]
    - ✓ الرسول هنا: محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
    - ✓ والصُّحف: هو القرآن.
    - ✓ الشاهد: هو وجوب الدخول في الإسلام على جميع أهل الأرض.
- والشيخُ ضمَّنَ هذا المعنى: التَّمسُّك بالإسلام الذي هو ثابتٌ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإن هناك أناسًا نسبوا أعمالًا ليست من الإسلام إلى الإسلام، فظنَّ مَن لا يدري وظنَّ الجاهل وظنَّ الذي لم يتعلَّم أنَّ هذا من الإسلام، فصاروا يقتدونَ بهم، فاحتاجَ المسلم إلى أن ينتبه إلى ما هو الإسلام الذي جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- والآية التي بعدها تدل على نفس المعنى، وهي قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فلا شيءَ أصرح من هذه الآية في وجوب اتباع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والتحذير من سبل الضلالة وطرق الغواية.
- __وفي هذا بيان أنه لا يوجد تعدُّديَّة ومذهبيَّة فكريَّة في دين الإسلام،__ فلا يجوز أن يُسمَح أن يتعدَّد الباطل ويُقر أهل الباطل، بل يجب أن يُدعى الناس إلى سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهذا واجب على جميع ولاة أمور المسلمين.

- قال الشيخ: (قال مجاهد: "السبل: البدع والشبهات")، هنا لم يذكر "الشهوات" وهذا هو الأرجح والأوضح في هذه الآية، ودلت عليها الأحاديث -كما تقدَّم.

- كما أنَّ هذه الآية في بيان التَّمسُّك بالإسلام والدخول في هذا الدين؛ فهي كذلك في بيان وجوب اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في تفاصيل الدين وشرائع الدين وأعمال الدين، ولا نتَّبع سبيل المبتدعين، بعض الناس يقول: أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ ولكن على الطريقة النقشبنديَّة الصوفية، أو الطريقة القادريَّة، أو الطريقة التِّيجانيَّة!

◆ لماذا تختار هذه الطُّرق وتترك طريقة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وطريقة الصحابة؟.

- فإذا قال: القادري والنقشبندي اتبعوا الرسول؛ فنقول: هؤلاء وقع عندهم ما وقع، فهم في الأزمنة المتأخرة وعندهم أخطاء، وهذه الطُّرق الموجودة الآن مليئة بالبدع والضَّلالات والعقائد الفاسدة، وقد أنكر عليهم العلماء هذا؛ فارتفع بعقلك وبدينك إلى طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واترك هذه السُّبل والطُّرق. وهكذا في كل مذهبٍ نِحلَةٍ وفِرقَةٍ من هذه الفِرَق الضَّالَّة.

- ثم أورد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أم المؤمنين، قال: (وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أخرجاه. وفي لفظ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»).

- هذا الحديث هو أصل كبير يجب على المؤمن أن يجعله نُصبَ عينيه إذا جاء يذكر الله، ويجعله نُصبَ عينيه إذا جاء يصلِّي أو يتعبَّد بأي عبادة، وإذا جاء يتقرَّب إلى الله بأي قُربَة؛ فيتذكر قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فهو مردودٌ عليك.

- وحديث البراء بن عازب مشهور، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِراشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، ووَجَّهْتُ وجْهي إِلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إِلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ»[١٠]. فقال الصحابي: "وبِرَسولِكَ الذي أرْسَلْتَ". فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لَا، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ»[١١]، فردَّها عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وعلَّمه.

- وهذا يُبيّن لنا أن نلتزم بالألفاظ التي وردت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ونقول للمبتدع: لا تُكلّف نفسك، ارجع إلى السُّنَّة فإنها تكفي، أما ما خرج عن السنَّة فإن الله لا يقبله منك.

- قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا»، إشارة إلى الدين -يعني: في الإسلام.

---

[١٠] أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).
[١١]

- أمَّا الإحداث في أمور الدنيا، مثل السيارات والطائرات والكهرباء والمصابيح والمراكب الجديدة والهواتف، والاتصالات، وبناء المستشفيات والمدارس؛ فهذه لا تتعلق بالدين، فهي أمور الدنيا لم يحرمها الشرع.

- وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» وقوله: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»؛ بعض الناس يُحدث ضلالة عظيمة في أصل العقيدة، مثل: أن يتبع المذهب الباطني، كالدروز والنُّصيْرِيَّة؛ فهي مذاهب خارج الإسلام وليست منه في شيء، ثم تجد بعضهم يسأل عن صوم الخميس، أو يسأل عن أحكام الإحداد للمرأة وهم على دين الباطنية وليسوا على دين الإسلام؛ فكل أعماله ليست بمقبولة؛ لأنه ليس على صراط النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ونقول لمعاشر هذه الطَّوائف: عليكم بالانتقال إلى سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وإلى طريق الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ومن يتَّبعون الآن الاثنا عشريَّة ويتَّبعون طريقة الحوثيَّة؛ فهذه الطُّرق مليئة بالشرك والخرافات، ولا يتبعون سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ثم يقولون نحن أنصار الله وننصر دين الله!!

◆ أين عقولكم؟! ألا تقرؤون القرآن؟!

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فاتَّبع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والتزم بسنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واترك هذه الضلالات واترك هذه العقائد الفاسدة، واعبد الله وحده، لا تعبد الأولياء، ولا تُقدّس هؤلاء المخلوقين فتتبرك بهم وتعتقد فيهم أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يُدخلونك الجنة! ما هذه الخرافات؟!

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فعليك أن تنتقل من هذا المذهب الخبيث إلى مذهب أهل السُّنة والجماعة، إلى مذهب الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والصحابة والتابعين، وتسير على هذا المنهج، أما إنك تعبد الأئمة وتستغيث بهم وتسجد لهم وتذبح لهم وتطلب منهم المدد؛ ثم تسأل عن أحكام الإحداد أو تقول: أنا حلفت يمين، تسأل عن أشياء وأنت أفسدتَّ الأصل؛ فعملك كله مردود.

❑ قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله قال: قال رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»).

- وهذا يُبين وجوب الدخول في الإسلام، وهو طاعة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والتزام شرعه، فعلًا لِمَا أمرَ وتركًا لِمَا نهى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وهذا يُبيِّن فائدة لطيفة جدًّا، وهي أن الذي حُرِمَ من الجنة ومُنِعَ منها هو الذي جنى على نفسه وهو الذي أبى، وهذا يُبيِّن لنا رحمة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بأمَّته، يقول: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

❑ قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الإسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ». رواه البخاري).

- أبغض الناس إلى الله هؤلاء الثلاثة:

✸ الأول: الملحد في الحرم.

- الملحد: هو الذي ارتكبَ إلحادًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

- قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾، يعني: المسجد الحرام، والمراد الحرم كله، فإذا قلنا: "الحرم" يعني حدود الحرم، فلو دخلت حدود الحرم فحذارِ حذارِ أن تكون في قلبك إرادةٌ للمعصية، حتى لو لم تفعلها؛ لأن الله -عَزَّ وَجلَّ- توعَّد أن يُذيق العذاب الأليم مَن أراد حتى ولو لم يفعل، فقال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ ولم يقل: "من يُلحد أو من يظلم".

- قوله: ﴿بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، والظلم أنواع، أشدها الشرك بالله، فالذي ينشر الشرك بالله -عَزَّ وَجلَّ- كما يُريده أعداء الله من غلاة الرافضة والصوفيَّة الذين يُريدونَ نشر الشرك ونشر الوثنيَّة، ونشر التعلق بالأولياء والأموات، ويطمعون إلى تعظيم المقبورين من دون الله ويسعون في هذا، وقد وفق الله هذه البلاد -بلاد المملكة العربية السعودية بقيادة قادتها حفظهم الله- إلى صيانة الحرمين وصيانة هذه البلاد من كل الشِّركيَّات، ولله الحمد والمنَّة، ونسأل الله أن يُتم هذه النِّعمة ويزيدها هدى وتوفيقًا، ولكن هناك مَن لا يروق له هذا، فيريد نشر الظلم -الذي هو الشرك بالله عز وجل- قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

- والإلحاد الصريح الذي هو الكفر الأكبر بإنكار الخالق وإنكار الإسلام أعظم وأعظم؛ فهذا أبغض الناس إلى الله.

✸ الثاني: «وَمُبْتَغٍ فِي الإسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ»، أي: ينشر بين الناس سنَّة الجاهليَّة ويُغير الدين، ويُفسد على الناس دينهم الإسلام، فهذا جريمته جريمةٌ شنيعة.

- وكان قبل مبعث الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الناس في مكة على دين إسماعيل بن إبراهيم -عليهما الصلاة والسلام- على التوحيد، فجاء عمرو بن لحي الخُزاعي فغيَّرَ الدين. ماذا فعل هذا الخبيث؟

- هذا الخبيث الذي رآه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في نار جهنم يجرُّ أمعاءه، وكان أول مَن دعا إلى عبادة الأصنام، وأوَّلَ من سيَّبَ السَّوائب، وهذا الخبيث نشر الشرك بالتَّدرُّج، فلما ذهب إلى عمان والأردن أتى

بأصنام وقال: إنه وجدها مدفونة في جدة، وأن بعض الشياطين أخبرته، فجاء بهذه الأصنام وعظَّمتها العرب، ثم عبدتها من دون الله.

✸ **الثالث:** «**وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ**»، يعني: يطلب ويسعى ويركض، ويذهب يمنةً ويسرى يُكلِّم ويشتغل؛ فكل هذا السعي والحرص على قتل أخيه المسلم بغير حق، يترصَّد لأخيه ويُراقبه حتى يقتله -نسأل الله العافية والسلامة- فهذا أبغض الناس إلى الله، فيا ويل من فعل هذا بأحدٍ من المسلمين.

- هذه الجملة من كلام ابن تيمية في هذا الكتاب، قال: **(قال ابن تيمية-رحمه الله- قوله "سُنة الجاهلية": يندرج فيها كل جاهليةٍ مطلقةٍ أو مقيدةٍ، أي: في شخص دون شخص، كتابيَّة أو وثنيَّة، أو غيرهما من كلِّ مخالفةٍ لما جاء به المرسلون).**

- **ذُكِرَت الجاهليَّة في القرآن في عدَّة مواضع، منها:**

❍ قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، الجاهلية الأولى هي التي أطبقت على الأرض، فكل أهل الأرض في ضلالٍ حتى بعث الله رسوله محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

❍ ومنها قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فالجاهلية المطلقة هي التي كانت قبل مبعث الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فكل ما كان في الجاهلية فهو ظلمات وكفر، ونسبتها للجهلِ؛ لأنَّهم لا يرونَ الحق ولا يسمعون به، والعقول البشريَّة مع شياطين الإنس وشياطين الإنس تضل عن سواء السبيل؛ فعمَّ الجهل أهل الأرض كلهم.

- وبعد مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ليست هناك جاهليَّة مطلقة؛ بل تكون في أرضٍ دون أرضٍ، وفي بلدٍ دونَ بلدٍ، وفي شخصٍ دونَ شخصٍ، ولكن لابدَّ أن يبقى الحق، لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»[١٢]، فالدين الإسلامي محفوظٌ بحفظ الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، وأهل الإسلام لابدَّ أن يبقى فيهم هذه الطائفة.

- إذن؛ بقيَّة الناس غير هذه الطَّائفة من أهل الإسلام قد يوجد فيهم جاهليَّة تسمى "الجاهليَّة المقيَّدة" وليست جاهلية مطلقة.

---

[١٢] صحيح مسلم (١٠٣٧).

- والعلماء من أهل السنَّة نبَّهوا على غلطٍ في مثل هذا الإطلاق، كقول: "جاهليَّة القرن العشرين"، فهذا غلطٌ؛ لأنه وصف القرن كله بالجاهليَّة، فلا يجوز تعميم وصف الجاهليَّة على أهل الأرض، ولكن نقول: "جاهلية مقيَّدة"، فاليهود في جاهليَّة، والنصارى في جاهليَّة، والذين يشركون بالله ويعبدون الأولياء هم في جاهليَّة، والذين يتركون أحكام الشريعة ولا يتحاكمون إلى شرع الله هم في جاهليَّة، ولكن الجاهلية بالنسبة لمن ادَّعى الإسلام أو كان مسلمًا تسمى: "جاهلية مُقيدة"، أمَّا إذا كان كافرًا فتسمى في حقه: "جاهلية كاملة" ولكنها ليست مُطلقةٌ في أهل الأرض.

- ومن صور الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت؛ وتكون في شخصٍ دون شخصٍ.

- يقول: **(كتابيَّة أو وثنيَّة)**، يعني قد ترد على بعض المسلمين جاهليَّة من أهل الكتاب -اليهود والنصارى- أو ترد عليهم جاهلية من قبل الوثنية، مثلما يلبسون أسورة في هذا الوقت ويقولون إنها تعطي الطاقة! جاؤوا بها من الوثنيين، من كفرة اليابان أو ما ماثلهم من أهل الأوثان، يقولن عل الطاقة، وأن الأحجار تؤثِّر؛ فهذه جاهليَّة وثنية، يُوجد بعضها -مع الأسف- بين المسلمين ويتفاخرون بهذا.

- كذلك الاعتقاد في الأبراج والتَّنجيم، فهذه جاهليَّة حرَّمتها الشريعة، ولكنها ليست عامَّة على أهل الأرض، فالمسلمون -ولله الحمد- الموحدون يبطلونها، ويعتقدون أنها ضلال، ويتبرؤون منها ومن أصحابها، ولكن يوجد من بعض السفهاء من يعتقد في الأبراج؛ فهؤلاء جاءتهم جاهليَّة إما من أهل الكتاب، أو من أهل الأوثان، أو من المجوس، أو من الصَّابئة؛ فجاءتهم هذه الجاهليَّات في طرقٍ منمَّقةٍ وأشكال مزخرفة فاغتروا بها. فهذا هو معنى قوله: **(جاهليَّة كتابيَّة أو وثنيَّة)**.

- قوله: **(أو غيرهما)**، فهناك أنواع كثيرة من أنواع الجاهليات لا حصر، فإن أهل الأرض في أودية الباطل إلا أهل الإسلام فهم على الحق، فيأتي من هنا جاهليَّة أو من هنا، أو من هذا أو من ذاك؛ فيتلقَّفها بعض سفهاء الناس من المسلمين، وتنتشر في بعض الشباب أو بعض الجهات؛ فهذه كله يعتبر من الجاهلية.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



البناء العلمي

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الرابع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

❑ {توقفتم فضيلة الشيخ عند قول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وفي الصحيح عن حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فإن استقمتم فَقَدْ سَبقتم سَبْقًا بَعِيدًا فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضلالا بَعِيدًا")}.

- الجاهليَّة المطلقة كانت قبل مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ثم بعدَ بعثته صارت الجاهليَّة مُقيَّدة؛ لأنه لا تزال طائفة من أمَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- على حق إلى قيام الساعة. فإذا وُجدت جاهليَّة سواء في الاعتقاد أو في الأخلاق أو في الأعمال؛ فإنها تكون في أرض دون أرضٍ، وفي قومٍ دون قومٍ، أو في شخصٍ دون شخصٍ، ونحو ذلك.

- وهذه الجاهليات التي تنتشر في الأرض لا يعني أنها طبَّقت الأرض، فالإسلام سيبقى -ولله الحمد- ودين الله -جَلَّ وَعَلَا- محفوظ منصور، وكذلك المؤمنون منصورون، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، فلا يزال في الأرض مَن يقوم بهذا الدين وينصره ويدعو إليه.

- ولهذا فلا يجوز لنا أن تطلق أن الجاهلية قد أطبقت الأرض اليوم، ولكن يوجد جاهليَّة في بعض المناطق، مثل التبرج والسفور، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ومثل الاعتقاد السيء بالله، قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ومثل الحكم بين الناس والفصل في النزاعات بأحكام مخالفة لشريعة الإسلام، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فهذا موجود.

- **قول ابن تيمية: "كتابية أو وثنية"**، يعني: مصدر هذه الجاهلية إمَّا من كفرة أهل الكتاب، أو من كفرة أهل الأوثان -كما تقدَّم الإشارة إلى هذا- ولو أردنا أن نعدد أنواع وأمثلة على هذا لرأيتَ العجب العجاب الذي لا ينقضي، ولا يُمكن أن يُحصَر ولا يُمكن أن يُضبَط، ولا يُمكن أن يكون له كتاب جامع؛ وذلك من كثرة الأهواء وكثرة الجهل، وكثرة الضلالات التي عند الكفار، لكن المستنكَر والمستغرَب أنَّ مَن منَّ الله عليهم بالإسلام والتوحيد ومعرفة سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يرجعون إلى هذه الأمور السافلة والناقصة والجاهليَّة.

- ومن الأمثلة: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ذكر الطَّعن في الأنساب، وذكر الفخر بالأحساب، وذكر النياحة على الميت، وذكر الاستسقاء بالنجوم، وذكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- من سنن الجاهلية وأمورها ما يجب على المسلم أن يحذر منه.

- ومن الاعتقادات الفاسدة الآن: الاعتقاد في النجوم، والاعتقاد في الأبراج، واعرف حظَّك، واعرف برجك! فهذا من الأمور الجاهلية التي يُروَّج لها.

- فالذي يُحيي في الناس سنَّة الجاهلية هذا أبغض الناس عند الله، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: أبغض الناس عند الله ثلاثة»، وذكر منهم «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ»، فعلى المسلم أن يحذر.

- الوشم الذي يضعونه في اليد أو في الكتف؛ فهذا لم نكن نعرفه خصوصًا بعدَ وفاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وكان معروفًا في القديم أنه من كبائر الذنوب، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لعن الواشمة والمستوشمة، ولكن الآن يفعله بعض الكفار ويسمونه: "التاتو"، ثم الآن نساء وشباب يضعونه ويتفاخرون به وكأنهم صنعوا شيئًا! فيا ويلَ من روَّجَ هذا بين المسلمين!

- وكذلك مَن يُعلِّق على يده أشياء أو على عنقه السلاسل والقلادات ويعتقد فيها؛ فهذا لم يُعرَف إلَّا في الخرافيين فقط! فصار بعض هؤلاء السفهاء ممَّن يقلدوا كفرة الشرق أو الغرب، كما قال ابن تيمية "كتابية أو وثنية أو غيرهما".

- وحتى المظاهرات هذه والصياح ورفع اللافتات والصراخ في الأسواق انتصارًا لفلان على فلان؛ فهذا من أمور الجاهلية، وليست من أمور الإسلام.

- كذلك تخصيص بعض الأيام بخصائص، فهذه من أمور الجاهليَّة، فليس في الشرع إلا عيدي الفطر والأضحى، فلا يجوز أن نبتدع عيدًا ثالثًا غير هذين العيدين، إلى آخر أمور الجاهلية وهي لا تُحصَى، فيجب

على المسلمين المحافظة على ما في كتاب ربهم، وسنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فقد رفع الله الجهل بهذا العلم وهذا النور، قال تعالى: ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، فالله -جَلَّ وَعَلَا- أكرمنا بهذا الإسلام، فلا يليق بمسلم أن يقع في أمور الجاهلية أو يبحث عنها، أو يشتريها بماله؛ فهذا من أعظم السفه -نسأل الله العافية والسلامة.

- بعد ذكر هذه النصوص الشرعية انتقل الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- إلى ذكر الآثار، فذكر أثرًا عن حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وأثرًا آخر عن عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان كان الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يأتمنه على السر والأشياء الخطيرة، وكان صحابيًّا وأبوه كان صحابيًّا وهو اليمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- وله منزلة كبيرة في الإسلام، يقول الشيخ: (وفي الصحيح عن حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا").

- قال الشيخ تكميلًا لهذه الرواية: (وعن محمد بن وضاح: "أنه كان يدخل المسجد")، الضمير في "أنه" يعود على حذيفة.

- **وهذا فيه فائدة وهي:** أن طلبة العلم والدارسين سواء في حلقات المساجد أو في المدارس الثانوية والمتوسطة، أو في الجامعات، وكل مَن يدرس العلم هو أحوج ما يكون إلى النصيحة، وهو أحوج ما يكون إلى لزوم المنهج؛ لأنَّ الخطر على هذا الشخص الذي يدرس أكثر؛ لأن الشيطان قد يغويه، وكم رأينا من أناس -نسأل الله أن يثبتنا وإياكم وجميع إخواننا المسلمين ويهدي ضالي المسلمين- درسوا علم الشريعة والعقيدة والسنَّة، ثم رأوا في أنفسهم ما رأوا، ثم انحرفوا ولم يستقيموا، وأخذوا يقولون بالمقالات التي الشاذَّة، وأخذوا يبحثون عن الشُّهرة، ويُخالفون صريح السنَّة وصريح الدين، فهذا هو الذي خاف منه حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- **قوله: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا"**، يعني: استقيموا على هذا الدين، واستقيموا على ما علمكم الله -جَلَّ وَعَلَا- من الكتاب والسنَّة، لا تستحسنوا أشياء فتخرجوا عن الشريعة، وتخرجوا عن السنَّة المحمدية.

- **قوله: "فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضلالا بَعِيدًا"**، فيه إشارة إلى تنوُّع أسباب الانحراف، فأحيانًا يمينًا وأحيانًا شمالًا، وتحت هذه الجملة أنواع من الانحراف، إفراط أو تفريط، غلو أو جفاء، وهذا يأتي إلى الإنسان دائمًا، فعلى الإنسان دائمًا أن يراقب الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويجعل نصب عينيه أنه سوف يلقى الله، وسوف يحاسَب على كل كلامه، وكثرة الناس قد تكون أخطر عليه وأشدُّ فتكًا به، لأنَّ ذنوبه تكثر إذا ضلَّ أو غلط أو اغترَّ بنفسه، فإذا كثُر متابعوه كثُرَ وزره، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالله يعافينا وإياكم وجميع إخواننا المسلمين، ويمنَّ علينا وعليهم بالتوبة والاستقامة.

- والقراء في زمن الصحابة والتابعين هم أهل العلم، فسُمُّوا بالقراء لكثرة قراءتهم للقرآن، وكان الذي يقرأ القرآن في ذلك الزَّمَن قد أخذ نصيبًا من القرآن ومن السُّنَّة ومن العلم الشرعي.

- قال الشيخ: (وقال)، أي: محمد بن وضَّاح.

❑ **قال: (أنبأنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم").**

- هذا الأثر أخرجه ابن وضاح عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وجزءٌ من هذا الأثر جاء في حديث عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو حديث أنس بن مالك المشهور: أن أناسًا جاؤوا عند أنس يشتكون من ظلم الحجاج بن يوسف في العراق، وكان أميرًا على العراق، وكان ظالمًا، فجاؤوا عند أنس صاحب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- فانظر أخي الكريم! في زمنٍ ليس بعيدًا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- جاء أميرٌ ظالم يظلم الناس وهو الحجاج، حتى إن الصالحين يذهبون إلى مَن بقي من الصحابة يشتكون لهم ويبثون همومهم عنده، فماذا قال لهم أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟

- قال: **«اصبروا فإنه لا يأتي عام إلا وما بعده شر منه»**، سمعته من نبيكم -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ولم يأمرهم بالخروج، ولم يأمرهم بالقتال وخلع البيعة، ولم يأمرهم بإثارة الفتن؛ بل أمرهم بالصبر، وهذا الحديث في صحيح البخاري.

- وهنا يقول ابن مسعود: "ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم".

- قال: "**لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير**"؛ فليس هذا هو المقياس عند ابن مسعود؛ لأن هذه الأمور تعتبر من البلايا، إذا نقص المطر فهذا بلاء، إذا لم تخصب الأرض فهذا بلاء، إذا جاء أمير ظالم فهذا بلاء؛ هذه الأمور ليست هي المقياس، لكن الخطير عند ابن مسعود وعند هؤلاء الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- هو: "لكن ذهاب علمائكم وخياركم" الله أكبر! فهم نجوم الأرض، يعلمون الناس الدين، يعلمون الناس الإسلام الحق الصحيح، يعلمون الناس سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كيف يصلي، كيف يصوم، كيف يحج كيف يزكي؛ هؤلاء العلماء يفتون الناس في الحلال والحرام، يدلُّونَ الناس على الصراط المستقيم، فإذا ذهبوا أو قلُّوا حدث الشر في الأرض، ويستعين الناس بعلماء الضلالة وعلماء البدعة، وعلماء الشرك والخرافة، وعلماء لا يبالون بحرمات الله؛ فهذا هو الأمر الخطير.

- قال: "**ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم**"، يقول: أرى كذا وكذا! أمَّا النُّصوص فلا يُبالي بها؛ فهذا هو الأمر الخطير.

- ولهذا يعتبر ترك العلماء الراسخين في العلم جُرمًا عظيمًا يُحاسب عليه من فعله، والواجب على المسلم إذا احتاج إلى فتوى أو إلى أمرٍ من أمور دينه أن يرجع إلى الراسخين في العلم، ولا يرجع إلى المنحرفين من المنتسبين للعلم ممَّن يعمل بالقياس والأمور العقلية ويترك قول الله وقول رسوله، ولا يُبالي بالشريعة.

- إذن قوله: "**فيهدم الإسلام ويثلم**" عبارة مهمَّة جدًّا، والثَّلم في الإناء هو الكسر مكان الشُّرب، فإذا انكسر الإناء من مكان الشُّرب يُقال: هذا الإناء قد ثُلِمَ.

- {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب تفسير الإسلام

- وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وفي الصحيح عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

- وفيه عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرفوعًا: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

- وعن بَهزِ بن حَكيم عن أبيه عن جده أنه سأل رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عن الإسلامِ فقال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة» رواه أحمد.

- وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، ويَسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت»)}.

- في هذا الباب بيان مختصر من الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- من خلال الآيات والأحاديث لمعنى الإسلام.

- قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، هذه الآية فيها صفة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وصفة أتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

وهذه الآية ضمن السياق في الكلام والمحاجة للنصارى؛ لأن سورة آل عمران نزلت في وفد نصارى نجران، فمن ضمن ما حكى الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنهم قد يُحاجُّون ويُجادلون بالباطل.

- قوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، هذا من أسلوب الجدال المشروع، وهذه الطريقة ينبغي أن يتفطَّن لها مَن يتعرَّض لجدال المعاندين، وهو أن يبين لهم حاله، وهذا البيان للحال فيه فضحٌ أمام الناس للمقابل من المعاندين، فيقول لهم: أنتم وشأنكم، ولكن أنا ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، وهذا خطاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فكل أتباعي أسلموا وجوههم لله، أما أنتم فالناظر يعرف حالكم،

وأنتم تعرفون حالكم، وحال أهل الكتاب في ذلك الوقت أنهم عبدوا المسيح وقالوا هو ابن الله، وقالوا هو ثالث ثلاثة، فلم يسلموا وجوههم لله، وإنما وقعوا في الشرك بالله -عَزَّ وَجَلَّ- وخالفوا شرع الله، وخالفوا أمر رسله -عليهم الصلاة والسلام.

- فهذا فيه تفسير لطريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في بيان لمعنى الإسلام، وهو أن تقول: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، **لماذا عُبِّر بالوجه ولم يعبر بالأعضاء؟**

لأنَّ الأعضاء تبع، وأشرف ما في الإنسان وجهه، فليست اليد ولا الرِّجل ولا ركبته ولا ظهره ولا بطنه أشرف ما فيه؛ وإنما أشرف ما فيه هو وجهه، وهو الذي يُقابل به، وهذا الوجه انقادَ -أي أسلم- لله -عَزَّ وَجَلَّ- فإذا انقادَ الوجه انقاضت بقيَّة الأعضاء، وبقيَّة أجزاء الجسم.

◆ **كيف يكون الانقياد لله؟**

- إذا أمرنا قلنا: سمعنا وأطعنا، أمرنا أن نصوم فصمنا، إذا طلع الفجر أمسكنا، إذا غابت الشمس أفطرنا، إذا جاء عيد الفطر حرُمَ علينا الصوم ووجب علينا الفطر، فنحن منقادون لشرعه فيما أحل وفيما حرم، وفيما أوجب، وفيما أحي واستحب، وفيما كره وفي حرَّم، وفيما أباح؛ فنحن منقادون له -سبحانه وتعالى.

- قوله ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، يعني: انقدتُّ لشرعه.

- قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، يعني: ومَن اتبعني من جميع المسلمين من أبي بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وجميع الصحابة، وجميع أتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إلى قيام الساعة هكذا طريقتهم، وإذا واحد منهم لم يسلم وجهه لله فليس من أتباعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

فهذا فيه وجوب أن نلزم هذا المنهج الذي كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهذا يتضمَّن التَّصديق للأخبار، والاستجابة للأوامر والنَّواهي، فعلًا للمأمور وتركًا للمحظور، وهذا هو معنى الإسلام، وهو أن تسلم وجهك لله -عَزَّ وَجَلَّ- وأن تبرأ من الشرك وأهله.

❑ **قال:** (وفي الصحيح عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»).

- وهذا الحديث حديث مشهور معروف، وفيه أركان الإسلام الخمسة.

◆ **فهذا هو تفسير الإسلام، وهذه هي أركان الإسلام الخمسة، فهل هناك واجبات أخرى غيرها؟**

- نقول: نعم، لكن هذه الخمسة هي أركانه الكبار، وفي هذا بيانٌ أن هذا الدين الإسلامي ليس فيه تعقيد، وليس فيه تكليف لما لا يُطاق، ليس فيه أمور باطنيَّة، وليس عندنا شيء باطن وشيء ظاهر، أو شيء للعامة

وشيء للخاصة؛ لا، كل الناس سواء في هذا، ليس عندنا أسرار في الدين نخفيها إلا عن خاصَّة الخاصَّة كما يزعم بعض الباطنيَّة والزَّنادقة! فالحمد لله، دين الإسلام دينٌ سهلٌ وميسَّر ومفسَّر في الكتاب والسنَّة.

- ثم قال: (وفيه عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرفوعًا: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»).
- قوله: (فيه)، يعني في الصحيح.
- قوله: (عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرفوعًا)، يعني عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، هذا تفسير للإسلام أيضًا، وبيان أحد واجبات الإسلام، وهو كف الأذى، أن يسلم المسلمون من لسانك ويسلمون من يدك.

أمثلة على أن يسلم المسلمون من لسان الإنسان: الغيبة، النميمة، اللعن، السب، الشتم، القذف، التكفير بغير حق، التبديع، التفسيق بغير حق؛ كل هذه الأشياء يجب أن يسلم منها المسلمون.

أمثلة على أن يسلم المسلمون من يد الإنسان: الضرب، الجرح، السرقة، القتل، ونحو ذلك.

فإذا سلم المسلمون من لسانك ويدك فأنت مسلم حقًّا، وهذا واجب من واجبات الإسلام، وفي هذا إشارة إلى أن الإسلام يتضمَّن أعمالًا وعقائدًا وأقوالًا، ويتضمَّن فعلًا ويتضمَّن تركًا؛ فالمسلم الحق مَن سلم المسلمون من لسانه ويده.

- ❑ قال: (وعن بَهز بن حَكيم عن أبيه عن جده أنه سأل رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عن الإسلامِ فقال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة» رواه أحمد.
- ❑ وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، ويَسلم المسلمون من لسانك و يدك» قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت»).

- قوله: «أن تسلم قلبك لله، ويَسلم المسلمون من لسانك ويدك»، سبق معنا إسلام الوجه، وهنا قال «أن تسلم قلبك لله»، والحقيقة أن بينهما تقربًا، وتقدَّم أن الوجه أشرف الأعضاء، والقلب هو ملك الأعضاء، فإن الأمر والنهي والإرادة والعزم على الأشياء تصدر من القلب، فإذا صار القلب متعلقًا بالله منقادًا له؛ انقادَ البدن والجسم كله بعقيدته وبأخلاقه وبأقواله، فهذا هو الإسلام.
- وذكر أمرين في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عند جده معاوية، قال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله»، فذكر ما يتعلق بالوجه وذكر ما يتعلق بالقلب في حديث واحد، ولهذا أتى المصنف بهذا الحديث للدلالة على هذا الأمر.

- قال: «وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة»، فيه إشارة إلى أن أعمال القلوب لا تكفي عن أعمال الجوارح، فلابدَّ من أعمال الجوارح، وهذا فيه الرد على المرجئة الذين يقولون ينفع الإيمان وينتفع به صاحبه ولو لم يعمل شيئًا! لا، هذا ليس بإسلامٍ، وهذا ليس بإيمانٍ؛ هذا كذب، إذا وُجد في القلب النية الصادقة والصدق مع الله وولَّى وجهه لله تبعته الجوارح، أما أن نقول لا يعمل شيئًا عامدًا عالمًا من غير عذر وينتفع بهذا؛ فهذا معناه أنه لم يكن في قلبه شيء من هذا الإسلام.

- ثم ذكر الجملة الأخيرة: (قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»).

- وهذا فيه شاهد لِمَا ذكره العلماء في حديث جبريل المشهور لما سأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان، ففسر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الإسلام بأركانه الخمس وهي الشعائر الظاهرة، وفسر الإيمان بالأمور الباطنة، وفسر الإحسان بقوله: «أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

- هنا في هذا الحديث قال: (قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»). قال العلماء: إن دائرة الإسلام أوسع الدوائر، فكل مَن أظهر الشعائر يعتبر مسلمًا، فمن شهد الشهادتين وصلى وزكَّى وصام وحج؛ فهذا مسلم، ولكن إذا أتى بهذه الشعائر مع إيمان في قلبه فهذا هو المؤمن، ولهذا قال هنا في الحديث: (قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»)، ثم ذكر أركان الإيمان الستَّة.

- ❑ {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب قول الله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
- ❑ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «تَجِيءُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَجِيءُ الصَّلاَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلاَة، فَيَقُولُ إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلاَمُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَأَنَا الإِسْلاَمُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾». رواه أحمد.
- ❑ وفي الصحيح عَنْ عَائِشَةُ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه أحمد)}.

- أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يقبل غير دين الإسلام، ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان موافقًا للإسلام، فالأعمال التي يتقرب بها غير المسلم غير مقبولة عند الله، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وإذا ابتدع المسلم أعمالًا فإنها مردودةٌ عليه -كما تقدَّم- فالذي يدين يغر دين الإسلام فهو من الكفار، ولا يقبل الله -عَزَّ وَجَلَّ- منهم هذا الكفر.

- أما دين العلمانية فهو دين باطل، فهو عقيدة يعتقد أصحابها أن كلًّا على هواه، وكلٌّ يعبد الله بما شاء، ولا يُلزَم أحد بشيء، ولا يُدعى أحد إلى شيء، ولا يُؤمَر أحد بشيء، ولهذا فهم يتغيَّظون من مسألة الدعوة إلى الإسلام والدعوة إلى الله أشدَّ الغيظ، والله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

- وبعض الناس يُزيّن المقالات الكفريَّة والإلحاديَّة والعلمانيَّة والشُّيوعية، فهذا صادٌّ عن سبيل الله، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، لا هو ولا مَن يُروّج له، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

- ثم ذكر الشيخ حديث أبي هريرة، وهذا الحديث يُبيّن فيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الصلاة، فيقول: «تَجِيءُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلاة، فَيَقُولُ إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلامُ، وَأَنَا الإِسْلامُ، فَيَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي»، يعني المعوَّل عليه هو الإسلام، إذا جاء نفعت الأعمال، أما إذا لم يجئْ الإسلام فلا ينفع الإنسان أيَّ شيءٍ، فالعبرة بمَن دانَ بهذا الدين ومات على الإسلام، فإنه به يؤخَذ، وبه يُعطَى، ومَن فقدَ الإسلام فقد فقدَ كل خيرٍ.

- وهذا معنى قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في الحديث الأخير: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وهو موافق للآية التي شرحناها: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الخامس



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه.
- وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].
- روى النسائي وغيره عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه رأى في يد عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ورقة من التوراة فقال: «أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جِئتُكم بها بيْضاء نَقيَّة، ولو كان موسى حيًا واتبعتموه، وتركتموني ضللتم». وفي رواية: «ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي». فقال عمر: "رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا")}.

- يجب على أهل الإسلام أن يكتفوا ويستغنوا بالقرآن العظيم، وكذا بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الكريم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لأنها الوحي الثاني، كما قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم ١-٤]، اللهم صلِّ وسلِّم عليه.

- وقد أمر الله -عَزَّ وَجلَّ- بطاعة رسوله في القُرآن في مواضع كثيرة جدًّا، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].
- مُتابعة الكتاب -وهو القرآن- توجب عليك -أيها المسلم- مُتابعة الرسول الذي أُنزل عليه هذا الكتاب، ومُتابعة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بالاتباع لسنَّته، وسنَّته -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- محفوظةٌ مكتوبةٌ معلومةٌ، حُفظَت وضُبِطَت، ونقلها الثِّقات بدءًا من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وهم أعدل جيل وأفضل جيل، ثم التابعون لهم بإحسانٍ.
- وهذا فيه إبطال الرجوع إلى الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة والأهواء المنحرفة وأقاويل الناس واستحسانات العقول؛ فهذه يجب اطِّراحها، والاكتفاء بما في الكتاب والسنَّة؛ فإنَّ فيه الكفاية وفيه ما يغني المسلم.
- قال: (باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه)، أورد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- آيةً وحديثًا، وهذا الباب يتضمَّن عدَّة نصوص، ولكن الشيخ اقتصرَ على آية وحديث من باب الاختصار.
- قال: (وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩])، فيه أنَّ القرآن منزَّلٌ من عند الله، وأن الله -عَزَّ وَجلَّ- في العلو، وأنه -سبحانه وتعالى- فوق العرش، فالقرآن نزلَ من عند الله، **وهذا فيه فائدتان:**
  - ☑ **الأولى:** إثبات علو الله على خلقه.
  - ☑ **الثانية:** أنَّ القرآن من عند الله -عَزَّ وَجلَّ- وليس من عند غيره، فهو كلام الله ووحيه.
- قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، أي: على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥]، فالواسطة بين الله تعالى وبين الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هو جبريل، وهو أعظم الملائكة وأفضلهم، وهو الموكَّل بالوحي، فسمع جبريل وحي الله -عَزَّ وَجلَّ- ونزلَ به على قلب محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ثم قرأه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] .
- فهذا القرآن من عند الله؛ إذن يجب عليك أن تكتفي به، وأن تفرح به، وأن تحمد الله على هذه النعمة، الله الذي خلقكَ وخلق كل هذه الخلائق هو الذي تكلَّمَ بهذا الكلام، فهذا وحيه.
- وهذا القرآن العظيم أنزل على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما في قوله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، ففيه وصف القرآن بأنَّ فيه التِّبيان، و"تبيان" مصدر، أي بيان لكل ما يحتاجه العباد من الجنِّ والإنس في أمور دينهم

وآخرتهم، فيما يتعلق بصلاحهم وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا وفي الآخرة؛ فهذا موجودٌ في القرآن، فأمور الدين كلها تؤخَذ من القرآن والسُّنَّة، قواعد الدين وأصوله العظام تُؤخَذ من القرآن والسُّنَّة.

- قال: (روى النسائي وغيره عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه رأى في يد عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ورقة من التوراة فقال: **«أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا واتبعتموه، وتركتموني ضللتم»**. وفي رواية: **«ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي»**. فقال عمر: "رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا").

- عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كان في يده ورقة من التوراة، والتوراة هي الكتاب الذي أنزل على موسى -عليه الصلاة والسلام- وأتباع موسى أول الأمر كانوا على الإسلام، ثم حدث فيهم بعد ذلك الشرك والضلال والانحراف، ثم بعث الله عيسى بن مريم، فآمن به مَن آمنَ، ثم بعد مدَّة حدث الشرك والانحراف في أتباعه، ثم بعث الله محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو خاتم الأنبياء والرسل، فلا نبي بعده ولا رسل بعده، ويجب على جميع اليهود والنصارى وسائر الجن والإنس اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وهنا أنكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- على عمر أنه ينظر في التوراة، فقال له: **«أمتهوكون يا ابن الخطاب؟»**.

- والمعنى: **هل أنت مُتحير؟ هل أنت مُتشكك في أن ما أُنزل على محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فيه الكفاية وفيه الهدى والنور، وفيه ما يُغنيكم؟ لماذا تنظر في هذه التوراة؟ هل تريد شيئًا أعظم مما في القرآن؟ هل تريد شيئًا مزيدًا على ما في القرآن؟**

- كل خيرٍ وكل هُدَى، وكل ما فيه سعادتك ونجاتك هو موجودٌ في القرآن، ويُغني عمَّا في التوراة.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لقد جئتكم بها بيضاء نقية»**.

البيضاء: يعني الصَّافية، ليس فيها سواد الظُّلمات والبدع والشرك، وهذا فيه إشارة إلى التحريف الذي وقع في التوراة، فأول ما أُنزلت التورة كانت بيضاء سليمة، فهي كلام الله، فإن الله -عَزَّ وَجلَّ- كتب التوراة بيده كما جاء عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في السُّنة، فالتوراة كلام الله، ولكن بعد ذلك غُيِّرَ وحُرِّف، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، فالأحبار استحفظوا على كتاب الله، ولكن حصل منهم التقصير وحصل منهم النسيان، وحصل من كثير منهم التحريف والتَّلاعُب.

- وقوله: **«نقيَّة»**، يعني ما فيه شوائب، وهذا فيه إشارة إلى أن أهل التوراة بدَّلوا وغيَّروا وأدخلوا شوائب، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لقد جئتكم بها بيضاء نقية»**، يعني شريعة الإسلام والقرآن والسنَّة صافية، وهذا يدلُّك على أنَّك تستغني بها وتكتفي بها، وتحمد الله -عَزَّ وَجلَّ- عليها، فلا يلتفت قلبك إلى ما عداها، فهذا من نقص المعرفة ونقص العلم، لأنَّ التفات القلب إلى ما عدا القرآن والسنَّة سببه أن الإنسان لا يرى الكفاية في القرآن والسنة، وهذا لجهله العظيم لِمَا احتواه هذا الكتاب العظيم -القرآن- والسنة

والمطهَّرة من العلم العظيم الكافي الشافي، فيذهب إلى التوراة ويذهب إلى الإنجيل مع ما فيها من التبديل والتحريف والتغيير؛ فهذا محل إنكار من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- على مَن فعل ذلك.

✸ **الأمر الأول:** هل أنت متحير متشكك؟!

✸ **الأمر الثاني:** أنَّ الشريعة بيضاء نقية، وهذه ليست كذلك.

✸ **الأمر الثالث:** قوله: «**ولو كان موسى حيًا واتبعتموه، وتركتموني ضللتم**».

- موسى نبي الله وكليم الله، من أولي العزم من الرسل، ومع هذا لو كان حيًّا في وقت مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لم يجُزْ لنا أن نتَّبع موسى ونترك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-؛ بل يجب علينا أن نتَّبع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، بل قد أُخِذَ الميثاق على موسى وعلى جميع الرُّسل والأنبياء أنَّهم إن بُعث محمدٌ وهم أحياء أن يتَّبعوه، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ**.

- ومن السنة أيضًا يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما في الصحيح: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[١٣].

- وقوله: «**مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ**»، يعني: من أمَّة الدعوة، وهم كل من بلغته رسالة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فكل مَن وُلِدَ بعدَ مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإنه يعتبر من أمَّة الدَّعوة، فيجب عليه أن يتبع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو داخل في خطاب الدعوة إلى الإسلام.

أمَّا مَن مات قبل مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فليس من أمة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- **والأمَّة تُطلق في الشريعة ويُراد بها أمَّتان:**

☑ **أمة الدعوة:** وهم كل مَن هو مخاطب باتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهم مَن وُلدوا بعدَ مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إلى قيام الساعة، وهؤلاء يجب عليهم أن يدخلوا الإسلام؛ فهم مخاطبون بدعوة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

☑ **وأمة الإجابة:** وهم الذين استجابوا للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ودخلوا في الإسلام، فهؤلاء هم أمَّته.

- والنصوص تأتي أحيانًا بمعنى أمَّة الإجابة، وأحيانًا بمعنى أمَّة الدعوة.

- وفي هذا الحديث قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ**»، يعني أمَّة الدعوة. قال: «**ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ**

---

[١٣] صحيح مسلم (١٥٣).

النَّارِ»، وهذا محل إجماع، وحكى هذا الإجماع جماعات العلماء قديمًا وحديثًا، فيجب على أهل الأرض جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، نسائهم ورجالهم؛ أن يدخلوا في دين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ومن خرج عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهو من الكفار، وهو من أهل النار.

- ولهذا يعتبرون من نواقض الإسلام مَن اعتقدَ أنَّ بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، فموسى لم يُبعَث إلى الناس كافَّة، أمَّا نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بُعث إلى الناس كافَّة، والذي يقول: إن التكاليف تسقط عن بعض الصالحين أو العباد إذا بلغ منزلة معينة في التعبُّد، فهؤلاء من خرافيي الصوفيَّة ضُلَّال، أو من بعض غلاة الرافضة الذين يقولون إنَّ الأئمة -أو السَّادة- تسقط عنهم بعض التَّكاليف؛ فهؤلاء خرجوا عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قال عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بعد هذا التوجيه من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا".
- هذه الكلمات من جوامع الكلم، وقد جاء فضلها أن تُقال في الصباح والمساء، وجاء من فضلها أنها تُقال مع الأذان بعد قول المؤذن: "أشهد أن محمدًا رسول الله"، فيُجيبه ويقول: "وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نبيًّا".
- الرضا بالله ربًّا والرضا بالإسلام دينًا، والرضا بمحمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نبيًّا يتضمَّن معانٍ عظيمة جدًّا، لو تدبر المسلم الرضا بالله ربًّا؛ **فإنه يقوده إلى:**
  - الرضا بالقضاء والقدر.
  - أن لا يحسد أحدًا على نعمة أعطاها الله له.
  - أن يقنع بما قسمه الله له.
  - أن يرضى بشرع الله ويسلم لدين الله.
  - والرضا بالإسلام دينًا أن يرضى بقلبه وبلسانه وبجوارحه، فيعمل بالإسلام، ويستجيب لأوامر الإسلام، وينتهي عن نواهي الإسلام، وينقاد للإسلام.
  - والرضا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نبيًّا يتضمَّن معانٍ كثيرة جدًّا، ومن هذه المعاني ما ساقه المصنف هنا وبوَّب عليه "باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه"، فمن ضمن المعاني: أنَّك تستغني بالله، وبكلامه وبكتابه وبرسالة نبيه وبسنة نبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عن كل ما سواه من الآراء والأشياء الأخرى، وهذا فيه القبول للشريعة، والقبول لسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، والقبول لأحكام الإسلام، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] .

- فانظر -أخي المسلم وأختي المسلمة- هل هذا موجود في قلبك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ منشرح الصدر لأحكام الإسلام حتى لو كانت عليك؟

- ومما يدل على هذا المعنى: قول الله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨، ١٩]؛ فقفْ مع هذه الآية العظيمة وقفة، وفكِّر فيها.

- يقول الله لأشرف الخلق محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾، هي شريعة الإسلام، القرآن، السنة، هذا الوحي من عند الله كله؛ جعل الله نبيه على هذه الشريعة، وهذا المنهاج وهذا الطريق، في العقيدة، في الحلال والحرام، في الأخلاق، في العبادات، في سائر أمور الدين؛ فالله يقول لنبيه ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾، والاتباع هو: السير والتَّمسُّك والعمل، فعلًا للمأمور وتركًا للمحظور.

- قال بعض السلف: كل من ابتدع في الدين بدعة فإنَّه تركَ سنَّة من سنن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وقوله في هذه الآية: ﴿اتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، إذن هذه الشريعة تكفيك أهواء الذين لا يعلمون، هوى العلماني، هوى الرافضي، هوى الباطني، هوى الخارجي، هوى المعطل لأسماء الله وصفاته، هوى الشيوعي، هوى المنحل عن الدين، هوى المتشدد في الدين والغالي فيه، هوى النصراني، هوى الملحد، هوى الفليسوف المنحرف، هوى الغاوي الذي يبحث عن الفواحش، أهوء ما لها حصر، فاتركْ هؤلاء، صراط الله واحد فاتبعه، وفي هذا غنًى لك وكفاية لك، فإذا اتبعت هذه الشريعة التي أنزلها الله -عَزَّ وَجلَّ- تغنيك عن هذا.

- وفي الآية وعيد لمن يتبع هذه الأهواء، ملل الكفر والضلال، وهؤلاء مجتمعون على محاربة الحق وأهله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، فلا تخشَ منهم لأنَّك مع الله، فإذا كنتَ مع الله متبع لوحيه ولسنة نبيه؛ فالله وليُّكَ.

- ولهذا ترى سائر أهل البدع يُعادون السنَّة وأهلها، ويجتمعون على حرب السنة؛ بل تجد كفرة النصارى وكفرة العمانيين والملاحدة أشد ما عليهم هم أهل السنة والجماعة، فيُعادون السنَّة ويُحاربونها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، فاجتماعهم على عداوتنا لا يُخيفنا، لأن الله ولي المتقين، فإذا كنتَ متَّقٍ متبعًا متمسكًا بالوحي فتوكل على الله وأبشر بالخير.

- يقول الصحابة: النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان إذا خطب الجمعة كان يقرأ آيات، وخطب عمر الجمعة فقرأ سورة الحج كاملة؛ فيجب على الخطيب والواعظ والذي يريد التأثير في الناس أن يذكر الناس بالقرآن، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، فالقرآن أعظم مؤثر.

- يقول عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "والله لو صحت قلوبنا ما شبعت من القرآن"، فكيف نأتي إلى غيره!

- ولذلك جاء النَّص الصَّريح في النَّهي عن النَّظر في التوراة، والنهي عن النَّظر في الإنجيل والكتب السابقة؛ لأنهم أخفوا وبدَّلوا، وتعرفون -أيُّها الإخوة الكرام- أن آية رجم الزاني مُنزلة في التوراة، أنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إلى رَسولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-، فَذَكَرُوا له أنَّ رَجُلًا منهمْ وامْرَأَةً زَنَيَا، فَقالَ لهمْ رَسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «ما تَجِدُونَ في التَّوْرَاةِ في شَأْنِ الرَّجْمِ». فَقالوا: نَفْضَحُهُمْ ويُجْلَدُونَ، فَقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فأتَوْا بالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أحَدُهُمْ يَدَهُ علَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ ما قَبْلَهَا وما بَعْدَهَا، فَقالَ له عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقالوا: صَدَقَ يا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فأمَرَ بهما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَرُجِمَا[١٤].

◆ فهؤلاء غيروا وبدلوا وأخفوا وكتموا؛ فكيف تنظر في كتبهم!

- فإذا كان هذا الوعيد الشديد فيمن نظرَ في التوراة والإنجيل؛ فما بالك بمَن نظرَ بكتب الملاحدة والفلاسفة وأهل الضلالات من غلاة الصُّوفيَّة، فمن باب أولى أن نقول بعدم جواز النظر في هذه الكتب، وأن نكتفي بالقرآن والسنة عن هذه الضلالات ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ويُستثنى من هذا مَن أراد الرَّد عليهم من العلماء الذين عندهم قدرة وعندهم تمكُّن، فهذا جهاد في سبيل الله، فلا بأس أن ينظر في هذه الكتب ويستخرج منها، ويُبيِّن الأخطاء، ويُبيِّن التَّناقضات التي عندهم، أما عموم الناس فلا، حتى من أهل العلم ما يلزم أن ينظر في مثل هذه الكتب.

◆ هل معنى هذا أنَّنا لا ندرس العلوم النافعة كالرياضيات أو الفيزياء، والهندسة، والكيمياء، والطب، وأنواع الصناعات والتكنولوجيا؟

- هذه ليس فيها شيء وهي جائزة؛ بل قد تكون مشروعة ومندوب إليها إذا نفعت المسلمين، ونفعت الدَّارس، وقد تكون واجبة إذا ترتَّبَ عليها مصالح للمسلمين، فإذا تُرِكَت مَن يتولَّاها!

- وهذه العلوم لا تعارض الشريعة، ولو وُجدَ فيها ما يُعارض كلام الله وكلام رسوله فلا نقبله ونُصحِّحه، ولله الحمد نجد اليوم من طلبة العلم ومن المتخصصين في هذه العلوم غير الدينيَّة مَن برز حتى علا أولئك النصارى.

❑ {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام.

❑ وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨].

❑ عن الْحَارِثَ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه قال: «آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إلا أَنْ يُراجِع وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّم».

---

[١٤] صحيح البخاري (٣٦٣٥).

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ والْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ». رواه أحمد والترمذي، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- وفي الصحيح: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ». وفيه: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟». قال أبو العباس: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية. بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، وغضب لذلك غضبًا شديدًا. انتهى كلامه، رحمه الله)}.

- قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام).

◆ ما معنى (دعوى الإسلام)؟

- دعوى الإسلام أي: اسم الإسلام، وصف الإسلام.

◆ إذا سُئلتُ أنا أو أنتَ أو أي شخص ينتسب لهذا الدين: من أنت؟

- تقول: أنا مسلم، تنتسب لهذا الإسلام، فهذه دعواك -أي عنوانك- وهذا وصفك ولقبك "أنا مسلم" أو "أنا من المسلمين"؛ فهذا اسم يُطلَق عليك، وصار هذا دعوى -أو سِمة أو وصف- وليست بمعنى الدَّعوى -التي هي ادعاء الكاذب- ولكن الدعوى هنا يعني الاسم والسمة والوصف الذي يُطلق عليك.

- فدعوى الإسلام، أي: وصف واسم الإسلام، لا تخرج عن هذا الوصف إلى أوصاف أخرى، لا تترك هذا الوصف وتقول هذا ناقص، وكل الناس هكذا، وأنا أريد وصف جديد ليميزني عن الناس! لا؛ هذا اسمٌ يسعكَ ويكفيك، وهو نعمة كبرى عليكَ وعليَّ وعلى كل مَن انتسبَ لهذا الدين، لأنَّ من البلايا العظيمة أنَّ بعض الناس لا يكتفي باسم الإسلام فيذهب يأتي بوصفٍ آخر يعتزي إليه، وينتسب إليه، ويتفاخر به، ويزدري اسم الإسلام، ويخرج عن وصف الإسلام ولا يراه شيئًا إلى أسماء مبتدعة مخترعة لا خير فيها.

- وأتى الشيخ بقول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

◆ وهنا نقف وقفة في قول الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾، من الذي سمَّى المسلمين بهذا الاسم؟

- المفسرون في هذا الموضع اختلفوا على قولين:

❍ القول الأول: لما قال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ﴾، فقال بعضهم: إنَّ إبراهيم هو سمَّى من يتبع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بالمسلمين.

❍ **القول الثاني** وهو الراجح: قوله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾، الضمير عائد على لفظ الجلالة "الله"، وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم.

- وفي هذا الفرح باسم المسلمين، فالله -عَزَّ وَجلَّ- هو الذي سمَّانا "مسلمين"؛ فنفرح بهذا الاسم، ونرضى بهذا الاسم، ولا نخرج عن هذا الاسم، ولا نظن أن هذا الاسم قليل الأهميَّة أو قليل الفائدة فنبحث عن ألقاب أو أسماء أخرى، فأشرف وأعظم نعمة عليك أنك مسلم، والله هو الذي سمَّاكَ بهذا الاسم.
- قال تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في اللوح المحفوظ.
- وقوله ﴿وَفِي هَذَا﴾، أي: فيما أُنزل على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو القرآن العظيم.
- وبهذا نعرف فضل الإسلام، ونعمة الإسلام، وأنها منَّةٌ كبرى على الإنسان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩]، يعني أمَّة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ. قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



البناء العلمي

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس السادس



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- وصلنا في القراءة إلى هذا الباب "باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام".

وأُذكر إخواني الكرام بأن المراد بـ "دعوى الإسلام" أي: اسم الإسلام ووصف الإسلام، وذكر الشيخ في هذا الباب آيةً وعدَّة أحاديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- والآية هي ما جاء في سورة الحج في قول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

- والشاهد هو قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾، فالله -عزَّ وجلَّ- هو الذي سمَّى من اتبع النبي -عليه الصلاة والسلام- بالمسلمين، فالحمد لله على هذه النعمة، والحمد لله على هذا الوصف، فإذا سئلت أنت فتقول: أنا مسلم، فهذا وصفٌ عظيمٌ تكتفي به وتفرح به، ولا تخرج عنه، فلا تقول: أنا لا أحتاج

هذا الوصف، أو أنا لا أرى قيمةً لهذا الوصف، أو تخرج عن هذا الوصف إلى أوصاف أخرى، فهذا هو معنى دعوى الإسلام، يعني: اسم الإسلام ووصف الإسلام، فتفرح به وترضى، ولا تحدث أسماء خارجة مبتدعة عن الشريعة.

- **قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بعدَ ذكر الآية: (عن الْحَارِثَ الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه قال: «آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلا أَنْ يُراجِع وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّم». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ». رواه أحمد والترمذي، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.**
- **وفي الصحيح: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»)}.**

- حديث الْحَارِثِ الأَشْعَرِيُّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فيه **أنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يأمر المسلمين بخمسٍ اللهُ أمره بهنَّ:**

- **الأول:** السَّمع، والمراد بالسَّمع: الاستجابة لأوامر الله.
- **الثاني:** الطاعة: الانقياد التام، فعلا للمأمور، وتركًا للمحظور.
- **الثالث:** الجهاد، والمراد به الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام كما قال -عليه الصلاة والسلام.

والجهاد شريعة من شرائع الإسلام، أمرنا الله -عزَّ وَجلَّ- بها، وأمر بها رسوله، ولكن هذه الشريعة لها ضوابط دلَّت عليها نصوص القرآن، ونصوص السنَّة، وما عمل به الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ومَن جاء بعدهم من أهل الإسلام، فالجهاد لابدَّ أن يكونَ مع ولي أمر المسلمين، وله ضوابطه سواءٌ في صفة المقاتل -الجندي- وكذلك فيمَن يُقاتَل، وفي طريقة القتال، وفي آداب القتال، وفي أحكام الغنائم، وفي أحكام السَّلَب.

- **الرابع:** الهجرة، أي: الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وكانت المدينة هي محل الهجرة ودار الهجرة، وكان الصحابة يهاجرون من مكَّة إلى المدينة، ثمَّ لَمَّا فتح الله مكَّة على يد نبيه محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: **«لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، ولَكِنْ جِهادٌ ونِيَّةٌ، وإذا اسْتُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا»**[١٥]، يعني: إذا دعاكم ولي الأمر إلى النفير فاخرجوا.

---

[١٥] صحيح البخاري (٢٨٢٥)، صحيح مسلم (١٨٦٤).

فالهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام باقية إلى قيام الساعة، ولكن هذا على المستطيع وعلى مَن لم يقدر على إظهار دينه، أما إذا استطاع أن يُظهر دينه فإنه لا بأس أن يُقيم بينَ ظهراني الكفار، ولكنه يكون على خطر، فيجب على المسلم أن يُهاجر؛ لأن هذا مما أُمرَ به المسلمون.

❖ **الخامس:** الجماعة، أي لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

- **والجماعة تُطلق في الشريعة على معنيين:**

➢ **المعنى الأول: الجماعة العلمية**، وهي لزوم ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والصحابة، مَن كان على مثل ما عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأصحابه، فيلزم السنَّة ويلزم العقيدة الصحيح، عقيدة السلف الصالح، وطريقة أهل السنة والجماعة، وهي جماعة الدين، وهي أن تلزم الحق.

➢ **المعنى الثاني: الجماعة العملية**، وهي أن يسمع ويُطيع لولاة الأمور في غير معصية الله، فإذا كان في بلد مسلم فإنه يسمع ويُطيع لولي الأمر في غير مَعصية الله -عزَّ وَجلَّ- فهذا من لزوم الجماعة، وتسمى جماعة السلطان، أو جماعة الأبدان، فلا تخرج ولا تسفك الدماء، ولا تخرج على جماعة المسلمين.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إلا أَنْ يُراجِع»**.

- إذا خرجَ عن جماعة المسلمين وشذَّ عنهم بأن يرفع السيف على أمَّة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ويستحل دماءهم ويستحل قتلهم؛ فهذا خرج عن الجماعة، وهذا إن خرج عن الجماعة قيد شبر -يعني: شيء بسيط- فقد خلع ربقة الإسلام، فكأن الإسلام لباس عليك، فإذا خرجتَ عن جماعة المسلمين وتمرَّدتَّ عن السمع والطَّاعة وشققتَ العصا فكأنَّك انخلعت من ربقة الإسلام، وظاهر هذا يدل على أنه كافر، ولكن العلماء قالوا: إن هذا من باب الوعيد الشَّديد، وقد يؤول به هذا الأمر إلى الكفر.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إلا أَنْ يُراجِع»**، فإذا تابَ تاب الله عليه.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّم»**، يعني أنه سوف يجثو في جهنم.

- قال: **(فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟)**، يعني يقول: أنا أُصلي وأصوم فكيف أصير في جهنَّم؟

- فهذا السؤال وُجِّهَ إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فقالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ والْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ»**.

- إذن؛ هذا فيه التَّحذير من إنشاء الأحزاب لتحزيب المسلمين وتفريقهم، الحزب الفلاني والحزب الفلاني، أنت مع هذا الحزب أو مع هذا الحزب؟ ويتعادون ويتقاتلون!

- نحن أمَّة واحدة مسلمون، على طريقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وطريقة الصحابة، لا نُنشئ أحزابًا ولا نفرق كلمة المسلمين.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ»، الدعوى: هي الاسم والصفة.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ والْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»، يعني: اكتفوا بهذا، وهذه الأوصاف الثلاثة هي تسمية الله لكم "المسلمين، المؤمنين، عباد الله"؛ لأن الله يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النساء: ٥٩] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فهذه أسماء سمَّانا الله -عزَّ وَجلَّ- بها.

- قال: **(وفي الصحيح: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»)**، أيضًا فارق جماعة المسلمين وشقَّ العصا عليهم، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- حذَّر من هذا.

- ولو كان الأمير ظالِمًا، كأن يأخذ المال بغير حقٍّ؛ فهذا ندعوا الله -عزَّ وَجلَّ- أن يفرج عنا، وندعو الله -عزَّ وَجلَّ- أن يخلصنا من ظلمه، لكن لا نشق العصا، ولا نثير الفتن، فهذا أمر موضَّح في السنة، وفي صحيح البخاري في كتاب الفتن من حديث ابن عباس يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَن رَأَى مِن أمِيرِهِ شيئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عليه فإنَّه مَن فارَقَ الجَماعَةَ شِبْرًا فَماتَ، إلَّا ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً»[16]، وفي الصحيح أيضًا: «مَن كَرِهَ مِن أمِيرِهِ شيئًا فَلْيَصْبِرْ، فإنَّه مَن خَرَجَ مِنَ السُّلْطانِ شِبْرًا ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً»[17]، فصرَّح بلفظ "السلطان" ولفظ "الجماعة"، فهذا هو كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- فيجب علينا الانقياد والاستسلام لِما قاله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ونجعله على العين والرأس، ولا نعرض عنه، ولا نلوي أعناقنا، ولا نكره كلام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهو الناصح الأمين لأمَّته -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ولا نفارق الجماعة ولا نفارق السلطان، ونصبر حتى لو رأينا ما نكره، فهذه هي توجيهات الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- واربط هذا مع كلام ابن مسعود الذي سبق معنا قبل عدة حلقات، قال: **"ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم".**

- **عليك بإصلاح نفسك، وعليك بالدعوة إلى الله وبيان الحق، ونشر العلم وبثّه، وأبشر بالخير واصبر، والجأ إلى الله، وأكثر من الدعاء والعبادة، فهذا هو المخرج،** وليس المخرج سلُّ السيوف وشق العصا؛ فهذا خطيرٌ جدًّا.

- قال: **(وفيه)**، أي: في الصحيح. «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، اللهم صلِّ وسلم عليه.

---

[16] صحيح البخاري (٧٠٥٤).
[17] صحيح البخاري (٧٠٥٣).

- هذا الحديث سببه أن مهاجريًّا كسعَ أنصاريًّا -يعني: ضربه على دبره- فرجع هذا الأنصاري على المهاجري فضربه، وهما من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وهذا يحدث بينهم، فهم بشر، ثم نشبَ بينهما شجارٌ، فقال المهاجري: ياللمهاجرين -يعني: تعالوا معي- وقال الأنصاري: يا للأنصار -يعني: تعالوا معي- وهذا يدل على أنهم ليسوا معصومين -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- والواحد منهم قد يُخطئ، ولكنهم يتوبون، ولهم حسنات عظيمة، فكادت تحدث بينهم مضاربة كبيرة، مع إنَّ اسم "المهاجرين" مشروع وممدوح في القرآن والسنة، واسم "الأنصار" مشروع وممدوح في القرآن والسنة، والله سمَّاهم بهذا؛ ولَمَّا جلا هذا الاسم عوضًا عن اسم "الإسلام" وسببًا للفتنة؛ قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، فإذا كان هذا في الاسم الشرعي "المهاجري والأنصاري" وهو اسم لا محظور فيه بل هو ممدوح، ولكن إذا استُخدم في فتنةٍ أو في شرٍّ نُهِيَ عنه، وسُمِّيَ: "دعوى الجاهليَّة"، فما بالك بالأسماء التي ليست بشرعية في الأصل! فمن باب أولى أن يُنهى عنها وأنها من دعوى الجاهليَّة.

- **ثم ختم الشيخ هذا الباب بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (قال أبو العباس: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار ! قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، وغضب لذلك غضباً شديداً". انتهى كلامه، رحمه الله).**

- هذا يُبيِّن لك أخي المسلم أنَّ أسباب التفريق بين المسلمين كثيرة، والشيطان حريصٌ عليها، وأنَّ أنواع الجاهلية كثيرة، وأنَّ هذه النَّزغات تُثير الفتنة والقتال بين المسلمين، فيجب النَّهي عنها، حتى لو كان المؤمن من أهل الإيمان الصادق، فإذا قُدِّر أن حصل بين طلبة علمٍ اختلاف في مسألة علميَّة، وكلٌّ له حجته، ثم تعصَّبَ هؤلاء لشيخهم وهؤلاء لشيخهم؛ فيأتي الشيطان يُحرش بينهم، فيجب أن يُنهى عن هذا، ويجب أن يُقال لهم: أبدعوى الجاهليَّة وأنتم من أهل العلم وطلبته!

- فأحيانًا التفريق قد يكون بسبب النسب والقبائل، فهؤلاء من قبيلة وهؤلاء من قبيلة أخرى؛ بل أحيانًا يكون بين القبيلة الواحدة، فخذ وفخذ آخر، وأحيانًا بين قريةٍ وقريةٍ أخرى، أو بلد وبلد آخر، وتجد بعض الناس يُطلق السَّب، فيقول مثلًا: القبيلة الفلانية معروفون بكذا وكذا وما فيهم خير! والثاني يقول: نحن فينا خير وفينا كذا وكذا.. نفس القبيلة هذه تجد فيها أفخاذ -عدَّة عوائل وأُسر- وتجد هذا الفخذ يقول: ذاك الفخذ لا تخطبون منهم، ولا فيهم خير، ويأخذ يطعن فيهم، وأما نحن فمعروفين بكذا وكذا...، ويستمر هذا التَّشقيق وهذا التَّعنصر والتَّحزُّب وهذه الفتنة حتى يصل إلى فخذه هو، ثم يُفرِّق بين الأُسَر التي في فخذه.

- حتى المذاهب الفقهية الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي؛ يتعصب هذا لرأيه وهذا لرأيه وهذا لشيخه، ويأتي الشيطان بينهم حتى قيل إن بعضهم يقول: لا يجوز للشافعي أن يتزوَّج حنفيَّة أو مالكيَّة، والعكس!

- وبعضهم يسب المذهب الثاني، ويسب إمام المذهب حتى روى بعضهم حديثًا مكذوبًا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في التنفير عن مذهب شخص معيَّن، فقال: "سيكون في أمتي رجل أشد عليهم من إبليس يُقال له محمد بن إدريس"، يقصد الإمام الشافعي -رحمة الله عليه.

- فهذا الخبيث كذب على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ونحن نقول له ولمن كذب على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هذا الحديث: «**من كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار**»، نسأل الله العافية والسلامة.

◆ هل معنى هذا أن نسقط الأسماء ونلغيها؟

- لا، الله تعالى يقول: ﴿**لِتَعَارَفُوا**﴾، فأسماء القبائل باقية، وأسماء البلدان باقية، فمَن سكنَ مكَّة يُقال له: "مكِّي"، ومَن سكنَ مصرًا يقال له: "مصري"، ومَن سكنَ الشام يُقال له: "شامي"، ومَن سكن اليمن يُقال له: "يمني"، وهكذا، وهذا لا يعيب الإنسان ولا يُنقص مقداره؛ بالعكس، فهذا انتسابٌ جائز، وقيل عن صهيب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- "الرُّومي"، وبلال -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- "الحبشي"، فهذا للتعريف، وحتى القبائل، يُقال: "قحطاني، عنزي،..."، وحتى البلدان، يُقال: "كويتي، سعودي، جزائري،..."؛ فهذا للتعريف وليس للتفاخر، ولا يجوز لأحدٍ من هؤلاء أن يقول: أنا أفضل منكم، فهذا غلط، فالتفاخر بهذه الأشياء والتَّعالي على الناس من أمور الجاهلية، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟**».

◆ ما حكم الانتساب إلى الجماعات؟ فمثلًا يسمون جماعة التبليغ والدعوة، يسمون "الأحباب"، أو جماعة "الإخوان المسلمين"، أو جماعة "حزب التحرير"، أو غيرها من الجماعات؟

- نقول: لا يجوز الانتساب لهذه الجماعات؛ لأنَّها جماعات بدعيَّة، ولأنها تشتمل على البدع؛ ولأنَّ الله -عزَّ وَجلَّ- كفانا باسم الإسلام، وهذه تعتبر من أمور الجاهليَّة، فجماعة التبليغ عندهم أخطاء وأغلاط، سواء في الدعوة إلى الله، أو في الولاء لبعض المبتدعة ونحو ذلك، فيجب ترك هذه الأشياء، ونكتفي بما منَّ الله -عزَّ وَجلَّ- علينا به من اسم "الإسلام" واسم "السنة".

◆ هل يجوز الانتساب إلى جماعة سلفيَّة؟

- نقول: إذا كنتَ تعني أنّك من السَّلف وتتبع السلف الصَّالح فهذه نعمة من الله، وأنَّ الله يوفقك لاتباع الصحابة، ولكن ليست جماعة لها رئيس ولها نظام، إذا أطعتهم رضوا عنك، وإذا لم تطعهم غضبوا عليك!

- من هؤلاء! فالذي يُطاع ويُسمَع له في غير معصية هو ولي الأمر الحاكم، ولكن تأتي مجموعة حتى لو قالوا على أنفسهم إنهم على منهج السلف الصالح؛ فلا يجوز أن يُتَّخذوا حزبًا، فيُقال: الشيخ الفلاني يجب أن نطيعه ونسمع له، وإذا أنت ما أطعته فأنت عاصٍ! لا، هذا لا يكون إلَّا لولي الأمر في غير معصية الله.

- فلا يجوز لنا أن نُحدِث هذه الجماعات، فمذهب السلف الصالح هو الحق؛ لأن الله -عزَّ وَجلَّ- أثنى عليه، قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهذا هو المقصود بالسلف الصالح.

- فاتَّبع هذا المنهج في العقيدة، وفي العبادة، وفي الأخلاق، وفي كل أمور الدين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، فهذا هو الذي ندعو إليه، وهو ما دعا إليه القرآن، وهذا هو منهج السلف الصالح، وهذا هو منهج علماء السلف الصالح، يدعون إلى هذا الطريق وإلى هذا المنهج.

◆ **هل يجوز للإنسان أن يعمل في جمعية رعاية الأيتام أو جمعية حفظ القرآن الكريم، جمعية البر للفقراء، جمعية العناية بالمعاقين؟**

- هذه الجمعيَّات لا بأس بها، ولكن لابدَّ أن تُنظَّم، فلا يعمل الإنسان بالفوضى، وهذا العمل صحيح في أصله لأنه من الإحسان ومن أعمال الخير، لكن إذا صرتُ أنا أدرِّس في جمعية القرآن وأنت في جمعية الأيتام فلا أتفاخر عليك وأقول أنا من جمعية كذا...، فهذه الجمعيات لا نعتبرها عقيدة، وليس في هذه الجمعية معتقدات خاصَّة بنا، إنما هو توزيع للأعمال الخيرية، هؤلاء يقومون بالإحسان غلى اليتامى، وهؤلاء يقومون بتدريس القرآن، وهؤلاء يقومون بتحفيظ السُّنَّة، فهذا لا بأس به، وهذا ليس من دعوى الجاهليَّة، بل هو للتَّعريف أنِّي أعمل في هذا المكان، أنا أعمل في جامعة الإمام، وأنت تعمل في جامعة الملك سعود، وأنت تعمل في جامعة كذا أو كذا...، أنا درست المذهب الحنبلي، أنت درست المذهب المالكي، وهذا درس المذهب الشافعي؛ فلا حرج في ذلك، لأنه للتعريف، ولهذا يُقال في أوصاف العلماء: فلان بن فلان الحنبلي، أو الشافعي؛ يعني درسَ هذا المذهب.

- والانتساب الذي ينفع الإنسان هو الانتساب إلى الإسلام، والانتساب إلى السلف الصالح، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان -كما تقدَّم- فهذا خيرُ أمرٍ تنتسب إليه، ولكن لا يكون انتسابك فارغًا، فبعض الناس يقول: أنا أتَّبع السلف الصالح، وهو يُعاديهم، مثل بعض الجماعات المنحرفة الذين سلكوا مسلك الغلو راحوا يسمُّونَ أنفسهم "الجماعة السلفية للقتال والدعوة"، وتجد أفكارهم وعقائدهم وأقوالهم هي أقوال تنظيم القاعدة والدَّواعش، فهم سمُّوا أنفسهم بهذا الاسم ليخدعوا بعض الناس، وهم أبعد ما يكونون عن منهج السلف الصالح؛ لأنَّ هؤلاء سلُّوا السيف على الأمَّة وخرجوا عنهم.

◆ **ثم الذي يقول: أنا أتبع السلف الصالح لا يُزكِّي نفسه، فإذا قيل له: هل أنت سلفي؟**

- فإذا نظرتَ إلى أصل وجوب الانتساب لطريقة الصحابة تقول: نعم، يجب أن أكون على هذا الطريق، ويجب على الجميع أن ينتسب إلى السلف الصالح الذين هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؛ وهم مَن أمرَ الله باتِّباعهم، الخلفاء الراشدون والصحابة، فهذا هو الواجب علينا.

◆ **ولكن إذا قيل لك: هل أنت سلفي؟ بمعنى أنَّك قمتَ بالكمال وحقَّقته وأنت من هؤلاء الكُمَّل؟**

- فتقول: أنا أعترف بالتَّقصير.

- فهذا الأمر ليس من باب التَّفاخر، ولكن من باب التنبيه والاتباع لمنهج السلف الصالح، ففرق بين الاتباع للمناهج الباطلة التي لها شيخ ولها رئيس ولها قواعد.

- والإمام أحمد والشافعي وغيرهما يعلموننا أننا لا نقلدهم؛ بل نأخذ من حيث أخذوا، وهذا يُسمَّى اتِّباع ولا يسمَّى تقليدًا أو تعصُّبًا، فعندما نقول: اتَّبع السلف الصالح، يعني لا نتعصَّب لشخص واحد منهم.

- كذلك يحرم التنابز بالألقاب، مما يدخل في الخروج عن دعوى الإسلام، والله -عزَّ وَجلَّ- يقول: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، فالتنابز بالألقاب محرم، يعني بعض الناس يراك مصليًا متبعًا للسنَّة في صلاتك وفي أمورك، محافظًا على فرائض الله وتاركًا للمحرمات؛ فيأتي يقول عنك: أنت كذا وكذا...، يعني: ينبزك بلقبٍ ليس فيك ولم تفكِّر فيه، مثل بعض إخواننا الذي عافاهم الله -عزَّ وَجلَّ- من الوثنيَّات والشركيات التي عند بعض المتصوفة والرافضة وغيرهم، فيأتي بعض الناس يقول له: أنت وهَّابي! مع أنه لم يتعصَّب لمحمد بن عبد الوهاب ولم يفكر في هذا، ولكنه متبع لكلام الله ولكلام رسوله، متبرئ من الشرك، فيأتي هذا ينبزه بهذا اللقب!

- <u>وكان أوَّل مَن شنَّع بهذه الألقاب على الصحابة هم المعتزلة</u>، فكان عمرو بن عبيد الله يسمي عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- صاحب الخِرقة، يعني: أنه يُفتي في الخرق، والخرق هي الأقمشة التي تستعملها النساء في الحيض، فكان كثير من النساء يسألن عن أمور دينها وطهارتها، وهذا شيء سُئل عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأجاب وعلَّم؛ فيصير بعض المبتدعة ينبذ أهل السُّنَّة بأنَّهم علماء حيضٍ ونفاس، وهذا من الضلال العظيم الذي وقع فيه أهل البدع قديمًا، وأوَّل من فعله هذا الرجل المعتزلي باتِّهامه لابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بهذا.

- <u>فاصبر أيها السُّني، أيُّها المؤمن، أيُّها المسلم، أيُّها الموحّد؛ اصبر على السُّنَّة، وعامل الناس بالإحسان</u>، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، وغضب لذلك غضباً شديداً". هذا هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم".

- وسبق أن نقل الشيخ كلامًا لابن تيمية من كتاب "اقتضاء الصراط" في موضع آخر، وهذا الكتاب من الكتب المفيدة والتي ينبغي قراءتها وتدريسها في هذه الأزمنة التي يُشيع فيها أعداء الإسلام وأعداء الحق وأعداء السنَّة أنَّ الإنسان يكون متميّعًا مع أخلاق الكفار، وقابلًا لعادات الكفرة، وهذا الكتاب يُبيّن فيه الشيخ أنَّك إذا لزمتَ الصراط المستقيم اقتضى منكَ أن تُخالف أصحاب الجحيم، قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ، ٦]، فإذا لزمتَ صرا الذين أنعم الله عليهم سلمتَ من الذينَ غضب الله عليه وضلوا سواء السبيل.

- وسبب تأليف ابن تيمية لهذا الكتاب: أن بعض المتفقهة في زمن ابن تيمية ممن غلطَ وضلَّ أفتى بجواز حضور أعياد اليهود والنصارى والمشاركة في أعيادهم؛ وهذا كلام باطل، فلا يجوز حضور أعياد اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، فألَّف ابن تيمية هذا الكتاب المشهور "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم"، وذكر جملة كبيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار عن السلف، وختم هذا الكتاب بقواعد عظيمة تتعلق بأحكام الأعياد المكانية والأعياد الزَّمانيَّة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس السابع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه)
- وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِك﴾ [النساء: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: تبيض وجوه أهل السُنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف.
- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ

وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله، كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصاً قوله: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» يالها من موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياة! رواه الترمذي، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار، وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود وفيه: «أَنَّهُ سَيَخْرُجُ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ تتَجَارَى بِهِمْ الأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ»، وتقدم قوله: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ»)}.

- (باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه)، أي: الإسلام الذي جاء به الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- صافيًا بعيدًا عن المحدثات، بعيدًا عن البدع.

- وقوله: (وترك ما سواه)، أي: مما أحدثه الناس أو أضافوه، وكذلك ترك الأديان الأخرى.

- وهذا الباب أتى بعدَ بابٍ يتعلق بالاكتفاء والاقتصار بدعوى الإسلام واسم الإسلام، وترك الألقاب والأوصاف والانتساب إلى ما يُفرِّق في الدين، وما يُبيِّن الانحراف عن هذا الدين، فذكر ذلك الباب، ثم أعقبه بهذا الباب، فإنك تدخل في الإسلام كله فتعمل به، وتترك ما سواه.

- وهذا الباب ضلَّ في معناه ومقصوده الفِرَق التي ضلَّت وانحرفت عن الشَّريعة الإسلاميَّة، فكل فرقة من الطَّوائف ضلَّت، بدءًا من الخوارج، ثم الشّيعة، ثم القدرية، ثم المرجئة، ثم الجهمية نفاة الصفات، ثم الجهميَّة الكبار، ثم مَن تلاهم من الفرق التي حدثت بعدُ من المتصوفة وغيرهم، وبعد ذلك ما حدث من دخول ضلالات المتفلسفة وضلالات مَن ضلَّ في باب العقائد في علم الكلام وغيره.

- فهؤلاء خرجوا إمَّا جزئيًا وإمَّا أكثر من ذلك عن الإسلام، خرجوا فيما ابتدعوا فيه عن الدخول في الإسلام كله؛ فأخذوا بعضًا وتركوا بعضًا، ونبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- حذَّر من التفرق في الدين، وحذَّرَ من الخروج عن هذا الدين، وحذَّر من ترك بعض هذا الدين، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨] ، السلم: أي الإسلام. و﴿كَافَّةً﴾، أي: كله أو كلكم، وكلا المعنيين حق.

- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يقول: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»[١٨] ، ففيما أوحي به الله تعالى إلى نبيه محمد أنَّ هذه الأمَّة سيحدث فيها اختلاف، والمراد بالاختلاف: المخالفة، والمعنى: أنه سيرى مخالفة لما جاءت به الشريعة، وهذا بالابتداع في الدين، وتشريع ما لم يأذن الله -عزَّ وجلَّ- به.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَكُمْ مع صِيامِهِمْ، وعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[١٩] ، وبيَّن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أن هذا الافتراق سيقع في الأمَّة، ولهذا أطبق أهل السنة

---

[١٨] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٠٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (رقم: ٢٦٦) وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[١٩] صحيح البخاري (٥٠٥٨).

والجماعة وعلماء الإسلام على التَّصديق بما قاله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في مقتضى هذه النصوص الشرعية وهذه الأحاديث النبوية، ومن ذلك حديث الافتراق المشهور الذي ساقه الشيخ هنا، وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية، وغيرهما من أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ودلَّ عليه القرآن كما في سورة الأنعام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وكذلك قوله في سورة الروم: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]. فنهى الله -عزَّ وجلَّ- هذه الأمَّة أن يكونوا هكذا، وحذَّر ممَّن يقع في هذا ويفعله.

- وثبتَ بسندٍ صحيحٍ عن أبي هريرةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّه قال عن آية الأنعام: "نزلت في أهل الأهواء من هذه الأمَّة".

- والصحابة كلهم مطبقون على التحذير من هذه البدع، والتحذير من الافتراق، ويُبيِّن خطر الافتراق في الدين؛ فكل هذا يشهد بأن ما جاء في حديث الافتراق حق من عند الله -عزَّ وجلَّ- وقاله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

- والواجب على كل مسلمٍ يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" أن يسلك مسلك الرسول، ويُطيع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ومعنى قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ»؛ لأنهم عاندوا الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، أمَّا مَن كان جاهلًا منهم؛ فبعض الجهل له مسوّغ وقبول، وبعض أنواع الجهل لا يُقبل من مدَّعيها لتفريطه.

- أو من يقول منهم أنه لم يفهم المعنى، فوافق أهل البدع، فالمقصود أنَّ المخطئ والجاهل من هذه الأمَّة قد عفا الله -عزَّ وجلَّ- عنهم، فنجعل هذا الحديث على معناه الذي قرره العلماء، وهو قوله «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إلا مِلَّةً وَاحِدَةً»، أي أنهم متوعَّدون، وليس المراد الحكم على الأعيان -فلان وفلان وفلان- أنهم في النار، فهذا شيء إلى الله -عزَّ وجلَّ- لا نعلمه، ولأنَّنا لا نشهد لمعيَّنٍ بجنَّةٍ ولا بنارٍ إلا من شهد له الكتاب والسنَّة، لكن مَن خالف طريق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في العقيدة وفي المنهج وفي الشِّرعة، وكذلك في العبادة؛ وهو عالم بمنهج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإنَّ هذا متوعَّدٌ بالنار كأصحاب الكبائر، مثل أكلة الربا، ومثل الذين يقتلون النفس بغير حق، ومثل الذين يقعون في الزنا؛ فهؤلاء متوعَّدون بالنار.

- والله -عزَّ وجلَّ- قال في آكل اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ولكن المعيَّن منهم فلان بن فلان؛ نقول: هو متوعَّد بهذا، ولكن ما نقطع ونجزم على هذا الشخص المعيَّن.

- وهكذا في هذه الفرق وهذه الضلالات الأهواء؛ فإذا مات الواحد منهم نقول: إذا خالف السنة فأمره إلى الله، أو وقع في البدع فأمره إلى الله؛ ونخشى عليه ولكن لا نجزم ونقطع أن هذا في النار وهذا في الجنة، فإن هذا

أمره إلى الله -عزَّ وجلَّ- ولا نتكلم في هذه الأمور الغيبية، ونحذر ممَّا حذَّر الله منه، ونُبيِّن لهم الوعيد، ونُبيِّن لأنفسنا أيضًا حتى لا نقع في مخالفة منهاج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وإلَّا فقد يكون هناك موانع تمنع وقوع العذاب مثل الحسنات الماحية أو أعذار أخرى، أو استغفار المؤمنين؛ فمن مات على التوحيد من هذه الأمَّة من أتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وسلم من الشرك؛ فهو يدخل في عموم قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦].

- والواجب على كل مسلم ومسلمة في جميع أنحاء الأرض: أن يجعل نصب عينيه طاعة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والدخول في كل ما أمر به قدر الطَّاقة. قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي: في الإسلام كله، فلا تأخذ بعض الإسلام وتترك بعضًا كطريقة أهل الأهواء، لا تأخذ بعض النصوص وتعرض عن بعض النصوص، تقول: هذه النصوص تروق لي، وتلك النصوص لا تروق لي! لا، هذه طريقة أهل الأهواء.

- والبلاء الذي جاء على الرافضة والشيعة -على سبيل المثال- مثل حب آل البيت، وآل البيت يجب أن يُحَبُّوا لأمرين:

  - **الأول:** لقربهم من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
  - **والثاني:** لإيمانهم وإسلامهم.

- فهؤلاء يدَّعون حبَّ آلِ البيت حتى آلَ بهم الأمرُ إلى تكفيرِ أبي بكر وعمر وعثمان، وبغض الصَّحابة، وآل بهم الأمر إلى الغلو في علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- والغلو في الحسن والحسين حتى عبدوهم من دون الله، وصرفوا لهم العبادة، واستغاثوا بهم، وهتفوا بهم في الملمَّات؛ كل هذا بدعوى حب آل البيت، وأهملوا النصوص الأخرى في حفظ حقوق الصحابة وبيان مكانتهم، ومحبتهم وإنزالهم منازلهم؛ فأهملوها وأعرضوا عنها.

- وفي مُقابل هؤلاء النواصب؛ فنصبوا العداوة لآل البيت، وكذلك الخوارج نظروا إلى نصوص الوعيد والتشديد، وتركوا نصوص الوعد، والمرجئة عكسوا، فأخذوا بنصوص الوعد، وفضل "لا إله إلا الله" وفضل التوحيد، وأهملوا نصوص الوعيد التي تحذر من الكبائر.

- والقدريَّة أخذوا بالنصوص الدَّالَّة على إضافة الأعمال إلى العباد، وجعلوا العبدَ مستقلًّا بعمله، ولا دخل لمشيئة الله وخلقه في عمله، حتى أخرجوا أفعال العباد عن عموم خلق الله -عزَّ وجلَّ- وأعرضوا عن النصوص الأخرى الدَّالَّة على عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته -سبحانه وتعالى.

- وفي مقابل القدرية الجبرية، أخذوا بالنصوص الدَّالَّة على عموم مشيئة الله وقدرته وخلقه، وأنه يفعل ما يشاء، وأنكروا أن تضاف الأفعال إلى العباد وجعلوا العبدَ مجبورًا.

- كل هؤلاء لم يدخلوا في الإسلام كافَّة كما قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾، فهم ينظرون للنصوص بنظر الأعور، يأخذ بعضًا ويعرض عن بعضٍ، وهذا غلطٌ عظيم وضلال كبير.

- وجاء في السنن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- غير هذا الحديث، يقول: "كان بعض أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في المسجد، وكانوا يتدارؤون في القدر". ولابدَّ أن نقف عند هذه الجملة. ما معنى يتدارؤون؟

يعنى: يدرأ بعضهم بعضًا في مسائل القدر.

- قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "فهذا ينزع بآيةٍ، وهذا ينزع بآية"، يعني: كأنهم يجعلون القرآن يناقض بعضه بعضًا، كأنه نقاش، وهم لا يقولون بهذا، ولكن من خلال هذا النزاع الذي حدث.

- قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "فخرج عليهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقال: «إنَّما هلَكَ مَن كانَ قبلَكُم بِهَذا ضربوا كتابَ اللَّهِ بعضَهُ ببعضٍ، وإنَّما نزلَ كتابُ اللَّهِ يصدِّقُ بعضُهُ بعضًا، فلا تُكَذِّبوا بعضَهُ ببعضٍ فما عَلِمْتُم منهُ فقولوا وما جَهِلْتُم فَكِلوهُ إلى عالمِهِ»[٢٠]، يعني نقول: الله أعلم، وهذا هو الواجب على المسلم، أن يسكت عن ما لا يعلم، ولو سموه مثقف أو كاتب أو محرر صحفي، أو سموه دكتور في الجامعة، أو أي وصف كان؛ لا يقتدي هذا أن يقحم نفسه فيما لا علم له فيه. قال ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "من علم علمًا فليقل، ومن لا فليقل: الله أعلم"، فإن من علم الرجل أن يقول عن ما لا يعلم "الله أعلم"، فإن الله قال لنبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] "، وهو رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لم يتكلَّف شيئًا لم يأمره الله، ولم يعلمه الله إياه، فنهانا عن التَّكلُّف -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ونهانا عن التَّنطُّع في الدين، ورُوي عن علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "لو سكت مَن لا يعلم لسقط الخلاف".

- فالخطر العظيم على الإنسان ودخوله في هذه الضلالات <u>بسبب حب الظهور أحيانًا، أو بسبب الجرأة على التَّقحُّم في المسائل، أو التقليد الأعمى لبعض ما يُطرح من هنا وهنا</u>؛ فيلجأ إلى الأخذ ببعض النصوص وترك بعضها.

- ومثلهم الخوارج الذين خرجوا في بلداننا وبلدان المسلمين وركبوا مذهب التكفير بغير حق والتَّفسيق والقتل وسفك الدماء والتَّفجيرات؛ تجدهم سلكوا هذا المسلك وتركوا ما قاله الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فلا تأخذ بعضًا وتترك بعضًا.

---

[٢٠] مسند أحمد (٢٦/١١)، وصححه أحمد شاكر.

- أهل الأهواء دائمًا يأخذون بعض النصوص ويتركون بعضها، فيجب على المسلم وعلى طالب العلم أن يحذر من هذه المسالك الوخيمة، وهي ترك الجمع بين النصوص الشرعيَّة، فالوحي واحد، والصراط المستقيم واحد، لا يجوز لك أن تأخذ بعض ما تهوى وتترك وتعرض بقلبك وسمعك عن الحق، وأمَّا الراسخون في العلم فقد مدحهم الله فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، فهذا هو المنهج الصحيح، منهج الراسخين في العلم، فخذْ عنهم العلم، وخذْ منهم الدين، وخُذْ مناهجهم، وتمسَّك بطريقتهم، لأنَّهم يؤلِّفون بين النصوص.

- ننتقل للآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦٠-٦١]، يُبيِّن الله -عزَّ وجلَّ- في هذه الآيات شأن المنافقين حتى نحذر من أخلاقهم ومن عقيدتهم الفاسدة، ومن مناهجهم الباطلة.

- فهذه هي أعمالهم، وهذه أقوالهم، وهذه طريقتهم، فهم يزعمون الإيمان، ويزعمون أنهم مسلمون، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾، وهذا الزَّعم لا حقيقة له، فننتبه أنَّ هناك مَن سيسلك هذا المسلك، يزعم أنه مؤمن، ثم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا﴾، فهو يريد أن يتحاكم إلى غير شرع الله، لا يريد القرآن، ولا يريد أحكام الله -عزَّ وجلَّ- في القرآن، ولا يريد أحكام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، يُبغضها ويتمنَّى ألا تكون أمامه ولا تكون عليه سُلطانًا، فهذا من الضَّلال العظيم، وسُمِّيَ هذا "التَّحاكم إلى الطَّاغوت"، فمن حكم بغير ما أنزل الله مختارًا لذلك عالمًا؛ فهذا يُعتبر طاغوتًا لا يجوز أن تتحاكم إليه.

- مسألة الحكم بغير ما أنزل الله فيها تفصيل عند العلماء، متى يكون كفرًا، ومتى يكون ظلمًا، ومتى يكون فسقًا، ذكر هذا علماء أهل السنة في تفسير آيات سورة المائدة ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة: ٤٧]؛ فبيَّنوا أنَّ هذا يدل على أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل، منه ما هو كفرٌ، ومنه ما هو ظلمٌ، ومنه ما هو فسقٌ، وذكروا كلام ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- وغيره من علماء الصحابة والتابعين في تفسير آيات المائدة لمَّا احتجَّ بها الخوارج على تكفير علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وتكفير حكَّام المسلمين، فقالوا: "ليس الكفر الذي يذهبون إليه، إنما هو كفرٌ دونَ كفر"، يعني أنَّ هذه الآية نزلت في هذا المعنى.

- وفصَّل علماء أهل السنة والجماعة مسألة الحكم بغير ما أنزل الله خلافًا للخوارج، فالخوارج يرونَ أنَّ الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر بدون تفصيلٍ، أما أهل السنة والجماعة فيقولون فيه تفصيل، منه ما هو كفر

أكبر، ومنه ما كفرٌ أصغر، ومنه ما هو ظلم، ومنه ما هو فسق؛ موافقة منهم للنصوص الشرعية، ولكن وهؤلاء المنافقين -كما قال الله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾.

- والواجب على الحكَّام ومن أعطاه الله -عزَّ وجلَّ- الحكم ويسَّر الله له أن يصل ويحكم بين النَّاس إمَّا بالغلبة أو باختيار الناس له أو بغير ذلك من الطرق؛ فنقول: واجبٌ عليه أن يحكم بما أنزل الله.

- كذلك يجب على الحكَّام أن ينصبوا القضاة، ويجعلوا الناس يذهبوا إلى القضاة الشرعيين في المحاكم الشرعية، حتى يفصلوا بين الناس بشرع الله -عزَّ وجلَّ.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

- قوله ﴿وَكَانُوا شِيَعاً﴾، يعني فِرَقًا، وفي قراءة سبعيَّة مشهور ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارقُوا دِينَهُمْ﴾، وهذه القراءة تفسِّر معنى ﴿فرَّقوا﴾، أي: فارقوا الدين.

وقد تقدَّم ذكر الأمثلة من الفِرَق التي حدثت، وكيف أنها أخذت بعضًا وتركت بعضًا، ففارقت بعض الدين وأخذت ببعضه، فنسأل الله العافية والسلامة.

- قوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، بعض الناس تمر عليه هذه الآية ولا يدري مدى الوعيد الذي فيها، فهذه الجملة فيها وعيدٌ شديد، وتهديدٌ أكيدٌ، وهذا يرجف أمامه القلب إذا سمع مثل هذا النص، فأنت أيها المسلم تقول: أنا أتَّبع الرسول وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ السؤال: هل ترضى أيها المسلم أن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول لك: أنا لستَ منك في شيءٍ ولا تمتَّ لي أنت أيها الرجل الذي تقول إنَّك مسلم بأي صلة؟! هل ترضى بمثل هذا؟!

الجواب: لا ترضى، بل تتمنى وترجو أنَّك من أتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وداخل في طاعته وفي دينه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا سمعت هذا النص تخاف منه؛ لأنه وعيدٌ لمن فارق وفرَّقَ واتَّبعَ هذه الفِرَق والضلالات، فنسأل اله العافية والسلامة.

- ثم أورد الشيخ قول ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- فقال: **(قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: تبيض وجوه أهل السُنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف).**

- المعوَّل عند ابن عباس في سبب بياض الوجه: اتباع السُّنَّة المحمَّديَّة والائتلاف، والاجتماع مع ولاة الأمور، والاجتماع على السنة، ومنهج أهل السنَّة والجماعة.

- وبعض الناس يظن أنَّ الآية في ترك المعاصي فقط، ولا يبالي باختلاف المنهج.

- يقول ابن عباس: **"تبيض وجوه أهل السُنة والائتلاف"**. فأهل السنَّة هم المؤتلفون المجتمعون على سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وعلى الدين، وهم لم يخرجوا عن جماعة المسلمين، ولا يخرجون على الإمام وولي الأمر؛ فهؤلاء هم الذين تبيضُّ وجوههم.
- وعكسهم الذين خرجوا عن السنَّة بالبدع، وخرجوا عن الجماعة بالخروج، وبترك طريقة السلف الصالح، وخرجوا على ولاة الأمور، فهؤلاء تسود وجوههم، قال ابن عباس: **"وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف"**.
- ثم ذكر الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حديث الافتراق المشهور، فقال: **(وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ»)**.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إلا مِلَّةً وَاحِدَةً»** قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**.
- هذا هو حديث الافتراق المشهور عند أهل العلم، رواه أكثر من سبعة عشر صحابيًّا بألفاظٍ متقاربة تؤدي نفس المعنى تقريبًا، وفيه أنَّ الأمم السابقة حصل فيها الفرقة والاختلاف، وأنَّ هذه الفرقة والاختلاف ستحدث في هذه الأمَّة، ويحذرنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أن نقع فيما وقع فيه مَن قبلنا، ولكن هذا الخبر وقع كما أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فهذا من علامات النبوة، فإنَّ هذه الأمَّة حدث أن تفرَّق فيها فِرَق كثيرة ذكرنا مبادئها، الخوارج، ثم الشيعة، ثم القدرية، ثم المرجئة، ثم المعتزلة، ثم الجهميَّة، إلى آخره.
- ونفهم من هذا معنى حديث **«فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»**، ومعنى قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ١٥٩]، والمخرج واحد، وهو من كان على مثل ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأصحابه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



الدرس الثامن



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- ووصلنا عند هذا الباب "باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه"، وتقدَّم أنَّ هذا الباب يتعلق بالتحذير من التفرق في الدين والبدع والابتداع بشتَّى أنواع وأشكاله.
- ومما أورد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بعض الآيات التي تدل على التحذير من البدع، وهي قول الله -جلَّ وعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِك﴾ [النساء: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].
- وأورد قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] "تَبْيَضُّ وجوه أهل السُنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف".
- ووصلنا إلى الحديث الذي أورده الشيخ بعد هذا وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ،

حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً». قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، هذا هو حديث الافتراق المشهور، وهذا الحديث صحيح مشهور مروي في السنن والمسانيد والجوامع التي تجمع أحاديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، رواه أكثر من سبعة عشر صحابي بألفاظ متقاربة، وحَكَمَ أئمة الحديث وعلماؤه ونقاده بصحَّة هذا الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ودلَّ على صحته أحاديث أخرى ثابتة عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والقرآن الكريم دل على هذا المعنى، ومن ذلك حديث العرباض بن سارية: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»[21]، وكذلك ما ورد في أن هذه الأمَّة تقتدي بمن قبلها مثل قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى»[22]، ومن ذلك قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ!»[23]، ونحو ذلك من الأحاديث التي تشهد لصحة هذا الحديث.
- هناك من سيقتدي بهم حذو النعل بالنعل، وقال في الصحيحين: «حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، وهذا موجود في كثير من الناس، يُقلِّد الغرب ويُقلِّد الشرق الكافر، ويقلِّد كفرة بني إسرائيل في كل ضلالة وفي كل بدعة وفي كل معصية -نسأل الله العافية والسلامة.
- ثم قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إنَّ تلك الأمم افترقت، فافترقت اليهود على إحدى وسبعين، والنصارى على ثنتين وسبعين، قال: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ»، فيجب الحذر من هذا الافتراق.
- ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً»، هذا من باب الوعيد، فهذا الحديث من نصوص الوعيد، وليس حكمًا على الأعيان بأنهم في النار، فأعيان المبتدعة وأصحاب الفرق الضالة المخالفة لمنهج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إذا كانوا على التوحيد ولم يشركوا بالله وماتوا على ذلك فأمرهم إلى الله، وهم على خطرٍ عظيمٍ لمخالفتهم منهاج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إذا كانوا عالمين بذلك عامدين، أما المعين منهم إذا مات فلا نقول: فلان بن فلان الذي مات من تلك الفرقة في النار!

فقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- حق، ولكن هذا من باب الوعيد، وليس للمعيَّن، فنحن لا نشهد على معيَّنٍ بجنَّةٍ ولا بنارٍ إلا من شهد له الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

بعض الناس يقول: ما في إلا أنتم؟

[21] أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وأحمد (١٧١٤٤)، وصححه الألباني.

[22] أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١١١٨٥)، وأحمد (٢١٩٠٠)، صحيح ابن حبان (٦٧٠٢)، مجمع الزوائد للهيثمي (٧: ٢٧)، واللفظ له، وصححه ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز (337: 3).

[23] صححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠: ٤٩).

- نحن نقول: من كان على مثل ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والصحابة فهذا هو الذي ينجو، فنحن جميعًا أهل الإسلام مخاطبون ومطالبون بأن نجتهد في اتباع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في العقيدة وفي الأخلاق وفي العبادات وفي المعاملات وفي كل أمور الدين، ونتبع طريقة الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- والسلف الصالح، وهذا معنى قول الله -جلَّ وعَلَا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فنحن مأمورون باتباعهم بإحسان، فالنصوص يدل بعضها على بعض، ويُجمع بينها.
- قول الصحابة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: من هم يا رسول الله؟ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**، وبعض الناس يزيد "اليوم" في الحديث، ولكن هذه الزيادة ليست في الروايات، والصحيح **«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**.
- إذن؛ هذه دعوة صريحة وواضحة من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لكل مسلم، ولكل أهل الإسلام في أي بلدٍ كانوا، وفي أي مكانٍ وأي زمان، أن ينقل حاله إلى اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وإلى موافقة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وموافقة الصحابة، ولا يكن حاله حال أهل البدع، وحال المخالفة لمنهاج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهذا من الدخول في الإسلام وترك ما سواه.

◆ هل يقتضي قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كلهم في النار» أنَّ الفرق المخالفة كلهم كفار؟

- نقول: لا، الوعيد بالنار لا يقتضي أن يكون مَن تُوعِّدَ بالنَّار كافرًا، فإنَّه قد تُوعِّد بالنَّار أهل الكبائر وهم ليسوا كفار.
- والتَّكفير لهذه الفرق فيه تفصيل، فمن هذه الفِرَق من ارتكبَ ما هو موجبٌ للتكفير، مثل إنكار القرآن وتكذيبه، أو إنكار السُّنَّة كلها، أو وقوعه في الشرك بالله -جلَّ وعَلَا- أو تكفير الصحابة، أو اتِّهام أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- بالزِّنى، أو نحو ذلك مما هو بلا شك مكفر لصاحبه وهو خارج عن ملَّة الإسلام.
- بعد سياق هذا الحديث علَّق المصنف تعليقة يسيرة، وهذا من الشيء النادر، فغالب طريقة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب أن يقتصر على النصوص الشرعية، ولكن أحيانًا يخرج فيعلق تعليقات -كما يُقال- لفتات تُنبِّه القارئ إلى أشياء مُهمَّة، فيقول هنا: **(فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله، كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصًا قوله: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» يا لها من موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياة!)**، يعني: يدعوك لأن تتأمَّل مرَّةً بعدَ مرَّة، فقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إلا مِلَّةً وَاحِدَةً... مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**، فتأمَّل هذه الجملة مرَّةً بعدَ مرَّة، فأعظم واعظ لك هو كلام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأعظم واعظ لك أن تتبع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فكيف تترك التَّنبُّه لهذه المفردات النبويَّة، فانقل حالك إلى هذا الحال واجتهد، والله -عَزَّ وَجلَّ- يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، فإذا علم الله صدق نيتك وعزيمتك على اتباع الرسول، وبحثتَ وسلكتَ المسلك حتَّى لو قصُرَ بك المقام أو ضعفتَ في العمل أو ضعُفتَ في الوصول إلى الكمال؛ فإنَّ الله يعلم ما في قلبك.

- قال الشيخ: (رواه الترمذي، ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار)، يعني الترمذي رواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ورواه من حديث أبي هريرة.
- قال: (وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود وفيه...)، يعني هذا الحديث فيه زيادة، فهنا ثلاثة من الصحابة رووه عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هذا الحديث، قال: (وفيه: «أَنَّهُ سَيَخْرُجُ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ»)، يعني: هذه الرواية تبيّن لك جزءًا من صفة أهل الأهواء، وهي أنَّ الأهواء تتلاعب فيهم وتتلاعب بهم، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ سَيَخْرُجُ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ الأَهْوَاءُ»، وهذا سيأتي في بعض الآثار عن ابن سيرين بعد عدَّة أبواب، فتجد الرجل يتَّبع هوى الخوارج، يُكفِّر ولاة الأمر، ويرى السيف على الأمَّة، ثم بعد مدَّة من هذا التَّشديد والغلو والتَّنطُّع في الدين ينحرف إلى أن يتساهل ويترك الواجبات، ويبدأ يُحلل ما حرم الله -عَزَّ وَجلَّ- فيجعل الغناء حلالًا، والموسيقى حلالًا، ويرى الاختلاط حلالًا، ويُجالس النساء، ويُضاحك الأجنبيَّات، وربَّما يتوسَّع أكثر وأكثر، فهذا مصداق كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ «تتَجَارَى بِهِمْ الأَهْوَاءُ»، يعني تلعب بهم الأهواء؛ لأنه لا يوجد في قلبه العزيمة الصادقة على اتباع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وما أظهره من غيرةٍ في دعواه أنه يُريد الغيرة على الدين هو كاذب فيها، فهو يريد الدنيا ولكنه ربما حتى مع نفسه ليس بصادقٍ، فلا يدري عمَّا في نفسه، وهكذا طريقة أهل الأهواء، وهذا توصيف نبوي لحالة أهل الأهواء، وأنهم تتجارى بهم الأهواء؛ لأنَّ الرجل إذا لم يكن صادقًا في التَّمسُّك بالوحي صار يمشي مرَّة هنا ومرَّة هنا، يمشي مع هواه.
- والواجب أن نتمسَّك بالوحي حتى لو خالف هوانا، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].
- قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ»، الكلب: مرض ينتج عن عضَّة الكلب المسعور، أو عضَّة ذئب، والسعار مرض يصيب الكلاب ناتج عن إصابته بجرثومة أو فيروس، فإذا عضَّ الإنسانَ هذا الحيوانُ المريض انتقلت الجرثومة أو الفيروس إلى دم الإنسان، فيجري في دمه وأعصابه، فيجعل الإنسان مسعور مثل المجنون، ولهذا تصبح تصرفاته مثل تصرفات المجنون، ويصبح الاضطراب في كل جسمه؛ لأن هذا ينتقل مع الدم ومع الأعصاب.
- قال: «فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ»، يعني عروق الدم.
- قال: «وَلا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ»، يعني في عظامه ومفاصله وأعصابه ودمه -نسأل الله العافية والسلامة- تجده يتصرف تصرف المجنون.
- وهذا يفسر لك ما يفعله بعض الملاحدة ممَّن يدَّعي الإسلام، وبعض المنحلين عن الشريعة، أو بعض الخوارج، أو بعض الذين يتَّبعون هذه الجماعات المنحرفة؛ تجد فيه نشاطًا عجيبًا على باطله! صباح ومساء وفي وسائل التواصل، ويركض من هنا ومن هنا، ويتكلم على هذا، ويُجيب هذا، ويحرض على هذا!! مثل الكلب

المسعور، ينطلق على المسلمين وعلى أهل الإسلام، وعلى بلدان المسلمين، نسأل الله أن يكفينا شرهم، ونسأل الله أن يدفع عنَّا باطلهم، وبعضهم ينتصر للباطل ولأهل الباطل وهو مُغمِضٌ عينيه، يمشي ولا يدري، ويُدافع عن طواغيت يحاربون الله ويُحاربون الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ويحاربون الدين الإسلامي، فيذهب يُدافع عنهم، فهذا الذي «تتَجَارَى بِهِمْ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ». نسأل الله أن يعافينا وإيَّاكم وجميع المسلمين.

- ثم ختم الشيخ هذا الباب بقوله: (وتقدم قوله: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ»)، هؤلاء الثلاثة الذين سبق الحديث عنهم قبل عدَّة أبواب في حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ».
- فقوله هنا: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ»، يبيِّن لك أنه لا يجوز أن تترك شيئًا من الإسلام لسنن جاهليَّة، فأمور الجاهليَّة اتركها، سواء كانت جاهليَّة شرقيَّة، أو جاهليَّة غربيَّة، أو جاهليَّة نصرانيَّة، أو جاهليَّة يهوديَّة، أو جاهليَّة مجوسيَّة، أو جاهليَّة وثنيَّة؛ فاتركها ولا تأتِ بها إلى بلاد الإسلام، يكتفي المسلمون بما علمهم الله -عَزَّ وَجلَّ- في أمور دينهم، فلا تعبث بدينهم وتفسد عليهم دينهم.
- والشيخ أدخل هذا الحديث في هذا الباب ليؤكِّد باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه.

- {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤]. وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].
- وفي الصحيح أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد». وفيه أنه: «نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا».
- وعن جرير بن عبد الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رجلًا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا من بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». رواه مسلم.
- وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: «من دعا إلى هدى، ثم قال: ومن دعا إلى ضلالة»)}.

- هذا الباب مهم في الحقيقة، وهو تابعٌ لما سبق، وهو في التحذير من الابتداع في الدين وخطورة البدعة، والبدعة أشد من الكبائر، ولهذا قال: "باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر".

ما وجه ذلك؟

- هذا يحتاج إلى تدبُّرٍ واستنباطٍ، فقد يبتدع شخصٌ بدعة في الذكر، أو في الجنائز، فهل هذا أشد ممن قتل نفسًا بغير حق؟

- قتل النفس بغير حق كبيرة، وهذا الذي يبتدع في الجنائز أو يبتدع في الصيام يتقرب إلى الله بهذه البدعة، يصلي ليلة في أول رجب مثلًا، فهو جالس يصلي طوال الليل، فهل هو أشد ممن يقتل النفوس؟
- نقول: هكذا دلَّت النصوص الشرعية، وذلك أنه إذا اختلفت الجهة ظهر الفرق، فالبدعة من حيث أصل التشريع يظهر أنها أشد من الكبائر، وكذلك ما يترتب عليها من آثار ومفاسد عظيمة بالتَّخلِّي عن منهج الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والخروج عن الصراط المستقيم.
- وإذا نظرت إلى جانب الأثر العيني المترتب على القتل؛ فلا شك أنه أعظم، فإذا أخذته من هذا الاعتبار اتَّضح أنَّ هذه الكبيرة أكبر، ولهذا فإن القتل يُوجب القصاص، خلافًا للمبتدع، فلا يجوز لنا أن نقتله، ولكن ندعوه بالتي هي أحسن، وننصحه ونأخذ على يده إذا كان عندنا سلطان.
- واحتجَّ الشيخ بآيات، منها قوله -عَزَّ وَجلّ-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

هل البدعة شرك؟

- الجواب: إذا تأمَّلتَ آية الشُّورى وهي قول الله -عَزَّ وَجلَّ-: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١]، فمَن يشرع من الدِّين ما لم يأذن به الله سمَّاه الله شريكًا، فهو ليس بشريك، ولكنَّه منازعٌ لله في التشريع، فهو يقول: أنا أشرع لكم هذا الذكر، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- شرع لكم هذا، ولكن خذوا بذكري أنا، وخذوا بهذا الشيء الذي أضفته أنا، واتركوا ما قاله الرسول!

من الذي له الحق في أن يأمر أمرَ إيجابٍ أو أمر استحبابٍ؟

- هو الله -عَزَّ وَجلّ- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فهو الذي شرع الدين ويأمر وينهى، حتى قال عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فهو داعٍ إلى الله بإذن الله، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤] -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- فالمبتدع من حيث العموم ومن حيث إنشاء البدعة هو منازعٌ لله في تشريع هذه البدعة.
- والذي لا يقصد هذا المعنى قد يُقال إنه ليس بمشركٍ، ولكن البدعة من حيث هي فيها هذا المعنى، ولذلك صارت من أقبح الذنوب بعد الشرك بالله -عَزَّ وَجلّ- فعندما يُنصِّب الإنسان نفسه للناس ويقول لهم: افعلوا وتعبَّدوا بهذه العبادات التي أنا أقولها لكم؛ فهذا منازعة في التشريع.
- ومن هنا نفهم هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، فوجه دخول البدعة من ناحية أن البدعة هي منازعة لله في تشريعه.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

- المبتدع مُفترٍ، فلا أحد أظلم منه، فقوله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، يعني أشد ما يكون ظلمًا، ولهذا فإنَّ البدع أشد من الكبائر؛ لأن أشد شيء هو الافتراء على الله، فإذا افترى على الله وقال: افعلوا هذا، وتقربوا إلى الله بهذا....

وهذا يحبه الله؛ فهنا افترى على الله، فلو كان عندك دليل على هذا فعلى العين والرأس، فهذا لم يفترِ، فهو يقول للناس: افعلوا ما أمر الله، افعلوا ما أمر الرسول، وهذا متَّبع، ولكن من يأتي بشيءٍ من عنده ليس في كلام الله ولا في كلام رسوله ويقول للناس افعلوه، هذا يحبه الله وهذا يقربكم غلى الله؛ فهذا قد افترى على الله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وهذا حال المبتدعة.

- وقوله: ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، كل مَن أظهر التَّديُّن وأظهر الدين سوف يتبعه فريق من الناس شاء أم أبى، قلُّوا أو كثُروا، فقد يكون هذا أشد شيء فيه خطورة، أنَّ الإنسان يضل بنفسه فقط؛ بل يضل ويُضل غيره، وهذه خطورة البدع، وهي أنَّه يقتدي به خلق غفير ويتوارثونه، وربَّما تبقى هذه البدعة مئات السنين، فيا ويلَ مَن أول من ابتدعها.

◆ **ولو فرضنا أنَّ حاكمًا ارتكب كبيرةً في ذاك الوقت؛ فهل يتبعه أحد؟**

- قد يتبعه واحد أو اثنان أو فريق من الناس يُجاملونه؛ ولكن يموت ويموتون وتنتهي، وما يتبعه أحد؛ وهذا يظهر لك أن البدعة أشد من الكبيرة مثلما بوَّبَ الشيخ.

- قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

- هنا قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وفي الآية قبلها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ فيه بيان لك أن البدعة ليست علمًا، هي قياس واستحسانات عقول وميولات عاطفيَّة كلها جهالات، وإنما العلم: قال الله...، قال رسوله...، قال الصحابة...؛ فهذا هو الدين الذي نتقرب إلى الله به، وهذه هي العبادات.

- وهنا في قوله تعالى في سورة الأعراف قصَّ الله تعالى علينا خبر الذين اتَّخذوا العجل من قوم موسى، فقال في سياق الآيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٢].

- قال العلماء: قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ في كل مبتدعٍ إلى يوم القيامة؛ لأنَّ موسى -عليه الصلاة والسلام- لم يأمرهم باتِّخاذ العجل، وهم ما أرادوا المعصية لما اتَّخذوه، وإنما أرادوا التقرب إلى الله، ولكن لم يكن معهم أمرٌ من النبي أو وحي من شرع الله -عَزَّ وَجلَّ-، فلهذا كان اتِّخاذهم العجل ابتداعًا وشركًا في نفس المقام، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فالعقوبة الأولى: الغضب من الله. والعقوبة الثانية: الذلَّة.

- وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، يعني: مثل هذه العقوبة نجزي بها المفتري، فهي في كل مبتدع إلى يوم القيامة، سيناله غضب من الله وذلَّة تلازمه في الحياة الدنيا -نسأل الله العافية والسلامة.

◆ **بعضهم يذكر وجه، يقول: إن البدعة يُتقرَّب بها إلى الله، والمبتدع وأتباعه لا يرون أنها معصية، أما من فعل الكبيرة أو أتباعه كلهم يدركون أنها معصية؟.**

- صحيح، وهذا منصوص عليه في كلام السلف -رحمة الله عليهم- يقولون: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يُتاب منها، وأما البدعة فلا يُتاب منها؛ وهذا صحيح، وهذا من أسباب أن البدعة أشد من الكبيرة.
- ثم احتجَّ المصنِّف بدليلين من السنَّة النبوية إذا جمعت بينهما ظهر لك أن البدعة أشد من الكبيرة، وهما:
- الدليل الأول: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال في الخوارج «أينما لقيتوهم فاقتلوهم»، وفي الصحيح: «نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا».

◆ فالخوارج يُصنَّفون مبتدعة أو شُرَّاب خمر أو زُناة؟

- الجواب: يصنَّفون مبتدعة، إذن هم وقعوا في البدعة.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في حكمهم: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»، فأمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بقتال الخوارج.
- ولما جاء أمراء الجور، أي أمراء الظلم، فنهى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- «عن قتل أمراء الجور ما صلوا». قالوا: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟ أفلا ننازعهم؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»، فنهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة.
- ثم ختم بحديث جرير بن عبد الله البجلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنَّ رجلًا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا من بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»، رواه مسلم. وله مثله من حديث أبي هريرة ولفظه: «من دعا إلى هدى، ثم قال: ومن دعا إلى ضلالة».
- هذا يبيِّن الفرق بين البدعة وبين المعصية، فالبدعة من السنن السيئة، وقوله: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً»، ليس معناه إحداث شيءٍ جديد في الدين، وإنما معناه إحياء شيء من الدين، إما غفل عنه الناس أو تقاعسوا أو ضعُفوا، أو نسوا؛ فيذكرهم أو يشجعهم، والكلام الذي قاله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بعد واقعةٍ وقعت، وهو أنه رأى جماعة من الصحابة في حال جوعٍ وشدَّةٍ، فأمرَ وحثَّ على الصدقة، فجاء رجل بكفٍّ من تمرٍ، وجاء آخر بقبضةٍ من شعير، أشياء يسيرة جدًّا، حتى جاء صحابي من الأنصار بصرَّةٍ كادت كفه تعجز عن حملها، فوضعها بين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فتشجَّع الناس، فأخذوا يتصدَّقون حتى اجتمعت كومة عظيمة، فتهلَّل وجه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مسرورًا، ثم قال: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً»، يعني هذا الصحابي الذي شجَّع الناس بفعله سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة، وهذا ليس ابتداعًا في الدين، وليس معناه أن هناك بدعة حسنة.
- وعلى كل حال: هذا يُبيِّن لنا خطر البدعة، وأن الإنسان إذا أحيا بدعة أو شجَّع على بدعةٍ فإنه يتحمَّل جميع هذه الأوزار، لأنه قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

- {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب ما جاء في أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة
- هذا مروي من حديث أنس ومن مراسيل الحسن، وذكر ابن وضاح عن أيوب قال: "كان عندنا رجل يرى رأيًا فتركه، فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله. «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه». وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: "لا يوفق للتوبة")}.

- هذا الباب أيضًا يؤكِّد المعنى السابق في خطورة البدع والتَّحذير منها، ومن ضمن شؤمها وخطرها أن صاحبها لا يوفق للتوبة.
- قوله (باب ما جاء في أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة)، وورد في هذا نصوص.

ونقول قولًا عامًّا، وهو أنَّ باب التوبة مفتوح لجميع العباد، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، سواء الشرك الأكبر، أو الإلحاد، أو الكفر بالرسل، أو غير ذلك من أنواع الكفر والضَّلال؛ فضلًا عن البدع، فباب التوبة مفتوح لهؤلاء ولهؤلاء ولكل مذنب ولكل عاصٍ.

- يقول الشيخ: إن احتجاز التوبة عن صاحب البدعة مروي، فلفظ "مروي" صيغة تمريض، فقد روي من حديث أنس ومن مراسيل الحسن، وذكر هذه القصة الجميلة عن أيوب السختياني، قال: "كان عندنا رجل يرى رأيًا"، يعني كان عنده عقيدة فاسدة، إما عقيدة القدرية أو عقيدة المرجئة، ثم ترك هذا الرأي، وقال للناس: لم أعد أرى هذا الرأي، ولم أعد أقول بهذا القول.
- قال: "فأتيت محمد بن سيرين" العالم الكبير المشهور من علماء التابعين الكبار -رحمة الله عليه- وهو إمام سنَّةٍ وهدى، وأيوب السختياني أيضًا عالم جليل، ولكن محمد بن سيري شيخه، فجاءه يقول: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه؟".
- فقال له: انتظر ولا تستعجل ولا تمدحه أو تزكيه، قال: "انظر إلى ماذا يتحول؟"، كأن ابن سيرين استنبط أن هؤلاء يتقلبون من هوى إلى هوى، ومن رأي إلى رأي، وليس معنى هذا أنه لن يتوب، فقد يتوب الله عليهم ويلزمون السنَّة، مثل نعيم بن حمَّاد كان جهميًّا، ثم صار من علماء السنَّة، وكثير من أهل البدع تابوا، ولكن مما يكثر وقوعه أن المبتدعة لا يرجعون.
- قال ابن سيرين: "إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله"، يعني حجَّة ابن سيرين في هذا هو كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وليس تحكُّمًا من ابن سيرين، لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه»، فاستنبط منه ابن سيرين أنه لا يوفق للتوبة من البدعة، وهذا في الأغلب.
- قال: (وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: "لا يوفق للتوبة")، وهذا لما سئل عن معنى «لا يعودون إليه».

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس التاسع



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في كتابه "فضل الإسلام": (باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].
- وقوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠].
- وفيه حديث الخوارج وقد تقدم. وفيه أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون». وفيه أيضاً عن أنس أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكني أُقُومُ وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». فتأمل! إذا كان

بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوباً عن السُنة فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟)}.

- اليوم نقرأ باب "قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧]".
- فطريقة الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وطريقة أهل العلم غالبًا في هذه التآليف يختصرون ذكر الآيات؛ لأن المسلم الذي يقرأ هذا الكتاب يعرف كتاب الله، فيرجع للآيات؛ فيُكمل الآيات، ﴿ياأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٧].
- إذن؛ هذا الباب مبوَّب على هذه الآية وما تضمَّنته من معانٍ والنصوص التي دلَّت على هذا المعنى، فإنه ذكر الآية التي بعدها وهي قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وذكر حديث الخوارج وما سيأتي.

◆ ما المراد بإتيان المصنف بهذه الآية في هذا الباب وفي هذا الكتاب؟

- نجد أن الله -عز وجل- يذم أهل الكتاب في انتسابهم إلى نبي الله الخليل -عليه الصلاة والسلام-، فيقول الله -عز وجل: ﴿ياأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥]، يعني: كيف تنتسبون إلى إبراهيم؟!
- والخطاب هنا لأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، فاليهود يقولون: نحن نتبع إبراهيم، والنصارى يقولون: نحن نتبع إبراهيم؛ فأنكر الله -عز وجل- عليهم هذا وذمَّهم؛ لأن اليهود حصل منهم تبديل، وحصل منهم تغيير لِما كانوا عليه، ولو كانوا على طريقة موسى -عليه الصلاة والسلام- ولم يغيروا ولم يبتدعوا ولم يُحدثوا الشرك والضلالات لكانوا على ملَّة موسى وملَّة إبراهيم؛ لأنَّ ملَّة الأنبياء واحدة، ولكنهم غيَّروا وبدَّلوا، وكذلك النصارى غيَّروا وبدلوا، فهؤلاء كفرة اليهود وكفرة النصارى يتباهون أمام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويقولون: نحن أتباع إبراهيم حقًّا ولستَ أنتَ يا محمد! وإبراهيم على طريقتنا، فنحن ننتسب إليه وهو على طريقتنا؛ إذن إبراهيم راضٍ عنا!
- فقال الله: ﴿ياأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥]، يعني أنَّ إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ليس على ملَّتكم؛ بل هو قبلكم، والتوراة الحقة التي هي كلام الله، والإنجيل الحق الذي هو كلام الله ولم يحدث فيه تغيير لم يُنزَل إلا بعد إبراهيم، فانتسابكم إلى إبراهيم في غير محله وهو مخالفٌ للعقل، ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، فكيف تنسبون أنفسكم إلى نبي الله إبراهيم وأنتم لا علم عندكم ولا دليل عندكم ولا حجَّة عندكم!
- ثم قال الله -عز وجل- مُوضِّحًا طريقة إبراهيم وبراءته من الشرك الذي هم عليه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فلم يكن إبراهيم الخليل على

طريقة اليهود الذين كفروا وغيَّروا وبدَّلوا وقالوا: عزير ابن الله، وقتلوا أنبياء الله، وادَّعوا في نبي الله المسيح ما ادَّعوا، ولم يكن نبي الله إبراهيم الخليل على طريقة النَّصارى الذين قالوا: إنَّ المسيح ابن الله وإنه ثالث ثلاثة، وإنَّما كان إبراهيم حنيفًا مسلمًا، يعني: مائل عن الشرك مقبل على التوحيد، مُتبرئًا من الشرك مُتمسكًا بالتوحيد داعيًا إليه، وما كان من المشركين.

- وقوله هنا: ﴿مُسْلِمًا﴾ يعني: الإسلام بالمعنى العام، وهو الانقياد لله -عز وجل- وطاعته في كل وقت، فإذا أطاع الله -عز وجل- في كل وقت بما أمر وبما أوحى وبما أنزل في ذلك الوقت فهذا هو الانقياد وهذه هي الطاعة لله -عز وجل.
- فالإسلام بالمعنى العام هو: الانقياد لله وطاعته، والالتزام بأمره فيما أوحى إلى رسله في ذلك الوقت، فنبي الله إبراهيم أطاع الله -عز وجل- واستقام على شرعه، فهو مسلم لله منقاد لله، نبي الله موسى وأتباعه المؤمنون حقًّا أطاعوا الله -عز وجل- فهم مسلمون، منقادون لله، ومطيعون لله، وهكذا بقيَّة الأنبياء كلهم على الإسلام بالمعنى العام.
- إذن؛ الإسلام بالمعنى العام هو: الانقياد لله وطاعته في كل زمان بما أنزل وبما أوحى، ولما بعث الله محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وختم الله به الرسالات وصار هو النبي الخاتم، وأرسله إلى الناس كافَّة -الجن والإنس- فصار الإسلام بالمعنى العام وبالمعنى الخاص طاعته -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- والدخول في دينه والدخول في شرعه، فلا يحل لأحد سمع بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أن يقول إنه على طريقة الأنبياء السابقين؛ بل يجب عليه أن ينتقل إلى الإسلام الذي هو طاعة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واتباع الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإن هذا هو الانقياد لله، وهذا هو الإسلام بالمعنى العام وبالمعنى الخاص.

◆ ما سبب احتجاج المؤلف بهذا؟

- أنَّ بعض الضلال وبعض المبتدعة يحتجون بانتسابهم إلى الكبار من الأئمة أو الأنبياء، فكفرة اليهود والنَّصارى يحتجون على باطلهم وتكذيبهم وظلمهم ووقوعهم في الشرك ووقوعهم في الضلالات باتباعهم وانتسابهم لنبي الله إبراهيم، فينسبون كل ضلالاتهم وشركهم وبدعهم وخرافاتهم إلى إبراهيم، فبرَّأه الله -عز وجل- من ذلك.
- ثم قال -رَحِمَهُ اللهُ: **(وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٣٠]).**
  رغب عن؛ يعني: أعرض وترك ملَّة إبراهيم.
- قال: ﴿مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، أعظم السفه هو الشرك بالله وترك مُتابعة الرُّسل -عليهم الصلاة والسلام، ولا يصح أن نقول على الفلاسفة الكفرة المكذبين للرسل: إنهم عُقلاء أو حُكماء؛ بل هم أعظم السفهاء، قال -عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، وفي نفس السورة قال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢].
- فالسفهاء: هم الذين عاندوا الرسول من كفرة اليهود وغيرهم ومَن شابهم من المنافقين الكافرين، فهؤلاء وقعوا في أعظم السَّفه، وهو الشرك بالله والكفر به والنفاق الأكبر، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ

سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فنبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يؤكِّد هذا المعنى ويقول في الصباح: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[٢٤].

- إذن؛ هذه المسائل التي نصَّ عليها الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ذكر من ضمنها قوله: «وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ»، فالحمد لله ما كان عليه نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هو الموافق حقًّا لملة إبراهيم، وهذا يُبيّن لنا أنَّ الدعوة إلى ما يُسمَّى بالملَّة الإبراهيميَّة، وأن يكون هناك بيت عبادة لليهود، وبيت عبادة للنصارى، وبيت عبادة للمسلمين، ويقولون: لابدَّ من التسامح فيما بيننا، ولابدَّ من المؤاخاة فيما بيننا!
- فهذا كلام باطل غير مقبول لا في شرع ولا في عقل، فاليهود مخالفون لملَّة إبراهيم، والنصارى مخالفون لملة إبراهيم، ومن وقع في الشرك ممن ينتسب إلى الإسلام أو وقع في التكذيب هو مخالف لملَّة إبراهيم، ولا يكون على ملَّة إبراهيم إلا من كان حنيفًا لله تاركًا للشرك، مبغضًا له، متبرِّئًا منه، مقبلًا على التوحيد، متمسكًا بالدين.
- ويجب على المسلم أن يتبرَّأ من هذه الدعوات المضللة، الدعوات التي يقولون فيها: إنهم على ملة إبراهيم باتباعهم للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، أمَّا إذا أقررنا اليهود وقلنا: إنهم على حق، أو أقررنا النصارى وقلنا: إنهم على حق؛ فهذا كفر بالله وخروج عن ملة الإسلام، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، فلا يغتر المسلم بهذه الدعوات المضللة، ولا يغتر المسلم بهذه الدعايات الكاذبة، فهذه الأساليب كلها لا تسمن ولا تغني من جوع، فاليهود هم اليهود لن يتغيروا، والنصارى هم النصارى لن يتغيروا، ونحن في التعامل نقول: نتعامل معهم بمقتضى الأدلة الشرعية، فلا بأس بالبيع والشراء بين المعاهدين والمستأمنين وبين أهل الذمَّة وبين مَن أقاموا في بلادنا بإقامة تعتبر مثل العهد، فلا نتعامل معهم إلا بما أمر الله وأمر رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نُراعي الأنظمة ونراعي العهود، ونحفظ الحقوق، لا نعتدي ولا نظلم، لا نسرق، وهكذا إذا ذهبنا إلى بلدانهم في غرضٍ شرعيٍّ أو لحاجة فإننا نلتزم بأوامر الشريعة، أما أن نتنازل عن ديننا باسم التسامح فهذا ليس تسامحًا، وإنما التسامح هو أن نسامحهم في بعض الأمور كأن تزل به القدم أو أخطأ علينا حد، فنسامحه ترغيبًا له في الإسلام، فهذا لا بأس به، أما أن يكون التسامح بأن نقول له: أنت على حق، أو لا نتكلم في باطلك؛ فهذا غير صحيح، هو على غير الحق ما دام أنه لم يتبع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فلا نتنازل عن هذا الأمر.
- ننتقل إلى النص الذي بعده، قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **(وفيه حديث الخوارج وقد تقدم)**، يقصد أنَّ الخوارج ينتسبون إلى الإسلام، وهم قد مرقوا من الإسلام، ينتسبون إلى الدين وهم قد مرقوا من الدين، ينتسبون إلى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهم يُخالفون الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بل إن الرسول -

---

[٢٤] أخرجه أحمد (١٥٤٠٤)، والدارمي (٢٦٨٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٩٨٢٩) باختلاف يسير، صححه الألباني.

صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أمر بقتالهم، وهذا نستفيد منه أن أهل البدع وأهل الضلال وأهل الباطل ينتسبون إلى الدين حتَّى يروِّجوا إلى باطلهم، أو ينسبونه إلى الرسل، وهم كاذبون في هذا، وكذلك الخوارج.

❑ قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وفيه أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون»).

- هذا حديث صحيح، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- تكلَّم على جماعة من الناس في زمنه انتسبوا إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقالوا: نحن أولياء للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ونحن موافقون للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في هذا الأمر، وكأنهم فعلوا شيئًا مخالفًا؛ فلم يسمهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إمَّا لأنهم منافقون عاندوا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أو أنهم مسلمون ولكنهم غلطوا غلطًا، وبيَّن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لطهم وتبرَّأ منهم، فقال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء»، وهذا تبرُّء من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مع أنهم كانوا يُظهرون النسبة إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فهذا ممَّا يُزيَّن به الباطل، فتبرَّأ منهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقال: «إنما أوليائي المتقون».
- **ونستخلص من هذه النصوص الشرعيَّة:**

☑ أن الإنسان لا يغتر باتباعه عالمًا صالحًا من أهل السنة إذا خالفه.

☑ أن لا يغتر الإنسان بقومٍ يدَّعون الانتساب إلى إمام أو إلى رجل صالح وعالم جليل. فالشيعة الذين يدَّعون حبَّ عليٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وينتسبون إليه يُخالفونه، ولهذا حرَّق غاليتهم بالنَّار، مع أن ابن عباس قال: أرى أن يُقتلوا بالسيف، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار، وذكر الحديث.

❑ ثم قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وفيه أيضاً عن أنس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر. فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لكني أَقُومُ وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»).

- هؤلاء النفر من الصحابة الذين جاؤوا إلى بيوت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وسألوا عن عبادته فكأنهم تقالوها، عندهم نشاط وإقدام، وكانوا شبابًا وأجسادهم قويَّة وكانوا مقبلين على العبادة ومحبين للدين ومحبين للرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ولا نشك في هذا، فقالوا: إن ما يفعله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- من الصلاة والصيام -في ظنهم- قليل، فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمَّا نحن فلا!
- وهذا يُبيِّن لك نزعة النفس البشريَّة، فإن هذه النزعات تأتي وتتجدَّد، فإذا وُجدت في مثل ذلك الزمن الفاضل وهو زمن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وزمن الصحابة؛ فلا غرابة أن توجد في الأزمان المتأخرة وتكثُر، فيعظم حذرنا من هذه الأشياء، وأنَّنا لا نغتر بهم لأنهم من مريدي الخير.

- فقال الصحابي: النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يصوم ويفطر، أما أنا فسأصوم ولا أفطر. وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أرقد. وقال الثالث: لا أتزوج النساء. وفي رواية قال فيها رابع: لا آكل اللحم!
- النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لم يقل لهم أنتم فيكم خير، ولم يدعهم يفعلون ذلك لأنهم يريدون العبادة؛ ولكنه أنكرَ أشد الإنكار.
- ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». انظر! واحد يقوم الليل كله ولا ينام يتبرَّأ منه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ! واحد يصوم الأيام كلها ولا يفطر يتبرأ منه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ويسميه "رغوبًا عن السنة"، ودين الإسلام هو دين سماحة ويسر، ما فيه آصار ولا أغلال، وما تشديد والحمد لله رب العالمين.
- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- دخل المسجد مرَّةً فرأى حبلًا ممدودًا في المسجد على سارية، فقال: ما هذا؟ فقالو: هذا الحبل لفلانة تصلي في الليل فإذا فترت تعلقت به حتى لا تنام. فغضب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقال: «علَيْكُم مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ، فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا»[٢٥].
- فأنكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- التَّنطُّع والتشديد على النفس والتكليف عليها بهذه الأمور، فواجب على جميع المسلمين أن يسلكون مسلك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في الإنكار على مثل هذه الحالات التي قد تبدو.
- ثم ذكر الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- تعليقًا، وكما ذكرنا فيما سبق أنَّ الشيخ قد يعلق أحيانًا بكلمات معدودة للتنبيه، قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **(فتأمل! إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ)**، فهذا الصحابي أراد التبتل للعبادة، هو ما أراد أن يزني أو يسرق أو يقتل أو يشرب الخمر، بل أراد العبادة والزيادة فيها. قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **(قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوبًا عن السُنة فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟)**.
- الجواب: أنه إذا كان غير هذا من البدع يكون الأمر أشد وأنكى، وإذا كان من غير الصحابة يكون الأمر أكثر وأعظم وأخطر، فلو جاء واحد وقال: هذا الضريح نتقرب إليه ونبني عليه مسجدًا؛ فإن هذا يدخل في عموم قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ما كان يبني المساجد على القبور.
- إذا وجدنا شخصًا يذهب إلى المقبرة ليصلي عند القبر أو عند المشد ويقول: هذه عبادة وأنا أتقرب إلى الله بهذا وأتبتَّل، فنقول له: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، أنت تبرَّأ منك الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بهذا الفعل، إضافة إلى أنه من أسباب الشرك بالله -عز وجل.

---

[٢٥] أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢).

- ومن هذا الباب أيضًا دعوة الناس إلى تعظيم القبور، أو دعوة الناس إلى التوسُّلات البدعيَّة في الأدعية، أو دعوة الناس إلى أوراد، ورد الشيخ الفلاني...، ورد الطريقة الفلانية...، ورد الطريقة التيجانيَّة...، نقول لهم قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».
- **زيارة القبور تكون بالزيارة الشَّرعيَّة لغرضين مشهورين ذكرهما النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ:**
  - **الأول:** الدعاء للأموات، وليس طلب الدعاء منهم، فنقول: **«السَّلامُ عليْكم أَهلَ الدِّيارِ من المؤمنينَ والمسلمينَ، وإنَّا إن شاءَ اللَّهُ بِكم لاحقونَ، نسألُ اللَّهَ لنا ولَكمُ العافيةَ»**[26]، ونقول: اللهم اغفر لهم، اللهم ارحمهم، اللهم نوِّر عليهم قبورهم.
  - **الثاني:** الاتِّعاظ والعبرة، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلا فَزُورُوهَا، فَإِنَّهُ يَرِقُّ الْقَلْبَ، وَتَدْمَعُ الْعَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلا تَقُولُوا هَجْرًا»**[27]، يعني النياحة وغيرها.
- ولهذا حُرِّمت الزيارة للنساء -على الصحيح- لأنهن لا يصبرن، ولَعَنَ رسولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- زائراتِ القُبورِ، والْمُتخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ[28]. فهذا هو المقصود من الزيارة الشرعية.
- أمَّا الزيارة البدعية فهي أن تُزار القبور لأجل أن يُعتقد أن الدعاء يُجاب عندها، أو أن الصلاة أفضل عندها، أو أن الصدقة أفضل عندها، ولهذا ننهى إخواننا المسلمين عن تحري الصدقة عند القبور، وبعض الناس الآن نراهم في بعض المقابر إذا جاء وقت الدفن جاؤوا بالمياه يوزعونها على المشيعين للجنازة! وهذا ليس من سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ولم يكن من فعل الصحابة، أمَّا مَن قال إنهم يوزِّعون المياه للحر، فالأولى أن يصبر هذا الوقت، أمَّا المضطر الذي يهلك من العطش فيذهب ويشرب في سيارته، أمَّا أن نوزِّع الصدقات ونقول: صدقة، صدقة، سبيل، سبيل؛ فهذه بدعة ولا شك، فنحذر إخواننا المسلمين من هذه البدعة، وقد صدرت فتوى للجنة الدائمة عام ١٤١٧هـ برئاسة الشيخ ابن باز أنَّ هذا من البدعة، ولكن بعض الناس قد يتساهل ويقول هذا تشدد، والناس يعطشون! فنقول: لو كانوا في رمضان هل سيفطرون؟! فهذه حجَّة باطلة، فلا تتحرَّى الصدقات ولا تتحرى أي شيء إلا بدليل، معك دليل حيَّاكَ الله وعلى العين والرأس، أمَّا لو لم يكن معك دليل فلا تقع في شيءٍ من هذه الأمور.
- أمَّا النوع الثالث من أنواع زيارات القبور فهو: الزيارة الشِّركيَّة، وهي أخطرها، وهي زيارة القبور لأجل الطلب من الأموات والاستغاثة بهم، أو الذبح لهم، أو الطواف بأضرحتهم؛ فكل هذا باطل وليس من شريعة الإسلام في شيء، ويجب الحذر منه.
- ومن هذا المنطلق يجب على جميع المسلمين أن لا يغلوا في القبور، ولا تجوز الإهانة، فإنَّ الشريعة الإسلاميَّ جاءت بتحريم الأمرين، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في حديث أبي مرثد الغنوي: **«لَا تُصَلُّوا إلى القُبُورِ، وَلَا**

---

[26] أخرجه مسلم (٩٧٥)، والنسائي (٢٠٤٠)، وابن ماجه (١٥٤٧) واللفظ له، وأحمد (٢٢٩٨٥).

[27] رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (١/ ٧١١) برقم ١٤٣٣، وأصله في صحيح مسلم.

[28] مسند أحمد (٥/٤٧)، وحسنه أحمد شاكر، سنن الترمذي (٣٢٠).

تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»[٢٩]، فقوله «وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»، فيه نهي عن إهانتها، وقوله «لَا تُصَلُّوا إلى القُبُورِ» فيه النهي عن أن تُجل القبور قبلة للصلاة، لأن هذا سبب ووسيلة للشرك، فقد يقتدي بك بعض الجهَّال ويُشركون؛ فهكذا جاءت الشريعة الإسلاميَّة وسط واعتدال.

- وعلى كل حالٍ؛ فهذا الباب انتهى، والمقصود منه: أنَّ بعض الناس يُروِّج الباطل إمَّا بالكذب على إمام فينسب إليه قولًا، أو يقول: نحن أتباع لهذا الإمام وينسب إليه هذا الباطل، فيروج الباطل بهذا، وأهل السنة والجماعة وأهل القرآن عندهم نظرٌ واحدٌ صحيحٌ، وهو اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهو القدوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولا يُمكن أن يكون غيره هو القدوة الكاملة، فنحن نقتدي بالصحابة والتابعين وهو أئمتنا، ولكن الواحد منهم ليس بمعصوم وإن كانوا قدورة في الجملة، فلو قُدِّر أن نُقلَ عن واحدٍ منهم خطأ أو شيء مخالف لآية أو حديث فلا تُرك الآية والحديث لأجل قول إمام أو عالم أو عابد.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



---

[٢٩] صحيح مسلم (٩٧٢).

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس العاشر



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرعُ في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾.
- وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].
- وعن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاَةً مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّي مِنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَخَلِيلُ رَبِّي» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رواه الترمذي.
- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُم وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

- ولهما عن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، ولَيُرْفعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَصْحَابِي! فيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».
- ولهما عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» قَالوا: فكَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا».
- وللبخاري: «بَيْنَما أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ فَقُلْتُ أَيْنَ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهُمْ قَالَ إِنَّهمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ -فذكر مثله- قال: فَلا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».
- ولهما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما-: «فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]»)}.

- قال:(باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾).

الخطاب هنا لأشرف البشر، وأشرف الخلق؛ وهو رسول الله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، أمره الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهذا الأمر العظيم، وإذا كان هذا قد أُمر به أشرف الخلق محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فغيره من الناس من باب أولى داخلون في هذا الخطاب.

◆ وهنا الأمر بإقامة الوجه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾؛ لماذا خُصَّ الوجه بإقامته للدين؟

- الجواب: لأن الوجه أشرف الأعضاء، فأشرف أعضائك أيها الإنسان هو وجه، فهو الذي تواجه به وتحصل به المواجه، والأعضاء تبعٌ له، فالقلب واليدان والقدمان وسائر البدن تابع للوجه، فإذا كان أشرفُ شيءٍ فيكَ أقمته لله -عَزَّ وَجَلَّ- وأقمته للدين حنيفًا؛ فإنَّ الأعضاء كلها تابعةٌ لذلك، فيقوم لله، ويسجد لله، ويركع لله، ويُنيب إلى الله، ويتوكَّل على الله، ويدعو الله، ويلجأ إلى الله، ويتضرَّع إلى الله، وهكذا..؛ كل هذا يُقيمه حنيفًا، فكلمة حنيفًا في قوله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، منصوبة على الحال، يعني: حال كونك على هذه الحنيفيَّة.

- إقامة الوجه للدين لابدَّ أن تكون حالَ كونك مُتبرِّئًا من الشرك، مُتمسِّكًا بالتَّوحيد، وهذا يُبيِّن لنا ما يُقرره علماء الإسلام دائمًا، وهو أنَّ التوحيد فيه نفيٌ وإثباتٌ، وهذا معنى: "لا إله إلا الله"، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فيه إثبات العبادة لله، وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فيه نفي عبادة كل ما سوى الله، فهذا هو معنى قول: "لا إله إلا

الله". فـ "لا إله" نفي، و"إلا الله" إثبات، وهو إثبات التوحيد والعبادة والتَّوجه والتعلق بالله -سبحانه وتعالى- ونفي الشرك عنه، وإبطال لعبادة ما سواه والتعلق بما سواه، والتوجه إلى مَن سواه.

- ثم وضَّح الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا الأمر أنه إذا تمَّ فهو فطرة الله، ولهذا قال: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وهذا سيقَ على وجه المدح، فإقامة الوجه للدين والحنيفية هما فطرة الله فطر الناس عليها، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- فطر الخلق -يعني أوجدهم وخلقهم وهيَّأهم- على هذا، وقد وضَّحه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما سيأتي في الحديث في ثنايا هذا الباب، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟».
- الفطرة هنا: بمعنى أن جميع المولودين من جميع أصقاع الأرض، من شرق الأرض في الصين واليابان، ومن غربها من أمريكا، ومن شمالها وجنوبها؛ جميع البقاع وجميع الأراضي وجميع العالم كل مولود يُولَد مائلًا إلى الحق، قلبه مُهيَّأ لقبول الحق والميل إليه والفرح به ومعرفته، والاستنارة به؛ فإذا عُرض عليه هذا الحق وسَلِمَ من المعارض أحبَّه ومالَ إليه وقَبِلَه، ودخل في دين الإسلام.

◆ لكن ما الذي يمنعه من هذا؟

- النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وضَّحَ هذا وقال: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، فهؤلاء الأبوان من شياطين الإنس، من شياطين اليهود أو شياطين النصارى أو شياطين المجوس أو غيرهم، أو شياطين الجن.
- إذن؛ الأصل في جميع المولودين أنه مفطورين على هذه الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها.

◆ ثم قال تعالى: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، الله أكبر! هذا يتضمَّن التَّحدّي لجميع أهل الأرض، هل يُمكن أن يُولَد المولود على غير هذا النحو؟

- الجواب: كلا، كل مولود يُولد سليمًا مائلًا إلى الحق قابلًا له إذا سلم من المعارض.
- وقوله تعالى: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ من علامات الربوبيَّة، فالله -سبحانه وتعالى- هو المنفرد بخلق هذه الخلائق، وخلق هؤلاء المولودين، لا يتغيَّر خلق الله -عَزَّ وَجَلَّ- منذ ذرية آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.
- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، فهذا التوحيد وهذا الإسلام وقبول الحق والميل إليه والعمل به، والبراءة من الشرك؛ هذا هو الدين القيّم، أي: المستقيم الحق.
- قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾، فأعرضوا عنه إلى الكفر، وإلى اليهوديَّة المنحرفة، وإلى النصرانيَّة الباطلة المبدَّلة المحرَّفة، إلى المجوسيَّة، إلى الوثنيَّة والشرك، إلى الإلحاد؛ فهؤلاء لا يعلمون، جهلوا الحق وأعرضوا عنه، وفرَّطوا في السؤال عن الرسول، والسؤال عن القرآن، والسؤال عن الإسلام؛ وإلَّا فكل واحدٍ من هؤلاء مكلَّف بأن يبحث عن الحق، ويبحث عن الإسلام، ويجتهد كما اجتهد سلمان الفارسي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حتى هداه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].
- والخلاصة من هذه الآية الكريمة: أننا نعرف أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أوجبَ على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأمته تبع له من باب أولى؛ أن يُقيمَ وجهه للدين حنيفًا، وهذا نصٌّ صريح.

- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، يُبيّن الله -عَزَّ وَجَلَّ- في هذه الآية أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وهم خيرة البشر اهتمُّوا بهذا الدين، اهتموا بالإسلام، اهتموا بسلامة دينهم ودين ذريتهم لدرجة أنهم في آخر حياتهم يوصون أبناءهم بهذا، فإبراهيم -عليه السلام- وصى بها بنيه، وكذلك يعقوب وصَّى بها بنيه ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.
- خير البشر -وهم الرسل- يوصون أبناءهم بالتوحيد، حتى عند قرب الموت ومُفارقة الدنيا، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [البقرة: ١٣٣]، فكانوا يوصونهم بالتوحيد، وبالإخلاص، وبالثبات على العقيدة الصحيحة، يخافون عليهم من الشرك، فإذا كان هذا هو حال الأنبياء فيجب علينا أن نقتدي بهم، والله -عَزَّ وَجَلَّ- ما ذكر لنا هذا الحال إلا لنقتدي بهم، وهذا وجه إدخال هذه الآية في هذا الباب، وهو أن المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- الشيخ محمد بن عبد الوهاب يُؤكِّد لك أنه إذا كان الأنبياء يخافون ويحرصون على أبنائهم؛ فافعلوا أنتم هكذا؛ لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- ما ذكر لنا حال الأنبياء في هذا المقام إلا لنقتدي بهم، فنخاف على أبنائنا، نخاف على بناتنا، نحرص عليهم، نسأل عنهم، أمَّا الاتّكال وعدم المبالاة فلا ينبغي، يجب أن نحرص ونُبرئ الذِّمَّة النَّصيحة وبالوصايا وبالتَّذكير وبالتَّعليم، فلا تقل: ما دام أن جدنا رجل صالح فما علينا خوف!
- يجب علينا أن نقتدي بالأنبياء في النصيحة، والأخذ على يد السفيه، أما ترك الحبل على الغارب فهذا جريمة، وسوف يُحاسب الله -عَزَّ وَجَلَّ- كل واحد منَّا، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ راعٍ ومَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ»[٣٠]، فكر الإمام وولي الأمر، حتى ذكر الخادم؛ فكل هؤلاء مسؤولون، وذكر الأب في بيته، والمرأة في بيتها، فكل واحد عليه أن يؤدِّي الواجب الذي عليه، ما يخصك أنتم قمْ به، ولي الأمر ما يخصه يجب عليه أن يقوم به، وإذا قصَّر سيُحاسبه الله، وأنت في بيتك تقوم على بناتك وعلى ذريتك بالعقيدة وبالأخلاق، وبالمحافظة على الدين والصلاة، فهكذا يجب علينا.
- الآية الثانية أيضًا تدل على هذا، وهي قول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

ما هي ملة إبراهيم؟

- الجواب: هي التوحيد، وملة إبراهيم هي البراءة من الشرك، ولهذا سُميَت سورة باسم "إبراهيم" نبي الله الخليل، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]؛ فلم يأمن على نفسه فدعا ربه، وخاف على أولاده، وهكذا يجب علينا، أمَّا التساهل في هذا هو مدعاة لدخول الشركيات.

[٣٠] أخرجه البخاري (٢٥٥٨) واللفظ له، ومسلم (١٨٢٩).

- فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أُمر باتباع هذه الملة، ونحن مأمورون باتباع هذه الملة، ومن ضوابط هذه الملة ومن دعاء صاحب هذه الملة ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾.
- والحمد لله أن منَّ علينا بنعمة الإسلام، ما في داعٍ لهذه الخرافات وهذه الخزعبلات، لا نجمع أصنامًا، ولا نجمع تماثيلا، ولا نجمع صورهم؛ بل يجب تكسيرها من قبل ولاة الأمور؛ لأن تنفيذ الحدود والإتلاف من اختصاصات ولي الأمر، فنسأل الله أن يعينهم ويسددهم ويأخذ بأيديهم لما فيه الخير، ولما فيه عز الإسلام والمسلمين.
- بعد هذا قال: (وعن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاَةً مِنْ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّي مِنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيم وَخَلِيلُ رَبِّي» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رواه الترمذي).
- ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، يعني: أتباع إبراهيم الذين زمنه.
- وقوله: ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾، يعني: نبي الله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: أتباع النبي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

◆ لماذا قُدِّم الذين اتَّبعوا إبراهيم في زمنه على نبيِّنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ؟

- الجواب: لأنهم ألصق به؛ ولأنهم اتَّبعوه في الشريعة التفصيليَّة مع اتباعهم في الإسلام العام، أما النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فله شرع خصَّه الله به، يختلف في بعض الأمور عن ما خصَّ الله به إبراهيم وأتباعه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فهذا هو سبب التقديم.
- والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إخوة، وجاء في الحديث «وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[٣١]، يعني: الشرائع، والدين الذي يجمعهم هو العقيدة وتوحيد الله تعالى، فأصول الدين من الإيمان وأركانه وأصول العبادات متَّفقون فيها لا يختلفون، لكن تفسير وتفصيل العبادات لكلٍّ شرعة ومنهاجًا.
- ثم أورد المؤلف حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُم وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».
- هذا الحديث حديثٌ صحيح، وفيه عبر للمؤمنين تحتاج إلى تفصيلٍ طويل، ولكن نأخذ الخلاصة وما يتعلق بالمقرر.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُم وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ»، فدائمًا إذا وفق الله الناس للحق وصاروا عليه تأتي المغريات، ومن أبرز المغريات المال، ثم الأبناء، ومع مرور الوقت يغتر الإنسان بماله، فينسى بعض ما أمره الله، أو يُقصِّر أو يطغى، وكثير من الناس زاد ماله وزاد طغيانه، كان يومَ كان فقيرًا أو متوسط الحال محافظًا على الصلاة، ونساؤه محافظات على الحجاب، محافظين على الدين، مستقيمين على

[٣١] صحيح البخاري (٣٤٤٣).

العقيدة الصحيحة، ولمَّا كثُرَ المال وزاد تساهلوا في الصلاة، وتساهلوا في الحجاب، وتساهلوا في أوامر الله، وتساهلوا حتى في العقيدة، حتى صاروا يُوالون أعداء الله، ويُبررون لهم العقائد الفاسدة، وهذا لكثرة الأموال.

- وقد قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]، فكثير من الناس ينظر إلى المال والولد على أنه علامة رضا الله، ودائمًا هذا يتكرر في الناس، فإذا رأى شخصًا عنده مال كثير، قال: هذا عنده خبيئة بينه وبين الله، ولهذا أعطاه الله المال! فيجعل معيار رضا الله -عَزَّ وَجَلَّ- على هذا العبد وجود المال أو وجود المنصب، وهذا من الجهل بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، فالمال يعطيه الله لمن يحب ولمن لا يُحب، يختبر هذا وهذا.
- وفي الحديث تأكيد لهذا المعنى: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُم وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ»، هذا ذميم وهذا جميل، هذا طويل وهذا قصير؛ ليس العبرة بهذا، وليست العبرة بكثرة المال وقلَّته.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، فلابد من صلاح القلب وصلاح العمل، وهذا يكون بالعقيدة الصحيحة وبالقيام بما أوجب الله وترك ما حرم الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ هذا من إقامة الدين وإقامة الإسلام.
- وهذا الحديث أتى الشيخ برواياته لعدد من الصحابة، عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس، قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (ولهما عن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»).
- الفَرَط: هو المُقدَّم، كمُقدَّم الجيش ونحوه، فإذا سار الجيش مسيرًا وأرادوا أن ينزلوا في مكانٍ، فيأتي شخص أو شخصين يتقدَّمون قبل الجيش يُهيِّؤون المكان ويُرتِّبونه، ويُهيِّؤون الماء، فيأتي الجيش ويجدون المكان مُهيَّئًا، فالذي هيَّئه يُسمَّى "الفَرَط"، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يقول: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»، يعني أنا أنتظركم على الحوض، فاللهم اجعلنا ممن يشرب من هذا الحوض ومن يده الشريفة -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وليُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمْ»، هذا فيه دليل على أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يُناول الناس.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «اخْتُلِجُوا دُونِي»، يعني: صار بيني وبينهم حجاب.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَصْحَابِي! فيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»، نسأل الله العافية والسلامة.
- وهذا الحديث والأحاديث التي بعده تُخوِّف المؤمن من التَّبديل في الدين، ومن الإحداث في الدين -وهو الابتداع- ومن التَّحريف في الدين والتَّغيير للشَّريعة، فكل واحد من المسلمين يجب عليه أن يُحاسب نفسه محاسبة شديدة في عباداته وفي عقيدته وفي أموره كلها ان تكون على شرع الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يزيد ولا ينقص، فما وافق الشرع يحمد الله عليه، ويفرح بنعمة الله، ويسأل الله الإخلاص والقبول والموافقة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وما خالف الشرع يجب عليه أن يتركه، ويرجع إلى الحق، فهذا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يُخبر أنَّ من هذه الأمَّة من سيُطرَد عن الحوض.

- قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَصْحَابِي! فيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»، فيه فائدة نرد به على غلاة وجهلة بعض المتصوفة، أو الشيعة الذين يزعمون أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يعلم الغيب، أو أنَّ الأئمَّة والأولياء يعلمون الغيب؛ فهنا أشرف الخلق وأعلمهم بالله وأنصحهم يُخبر المسلمين بما سيكون يوم القيامة، وأنَّ الملائكة تقول «إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»، فهذا دليل على أنه لا يعلم الغيب -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].
- كذلك لا يملك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نفعًا ولا ضرًّا لأحد، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وسنأتي على معنى «مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» بعد قليل.
- قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (ولهما عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي»).
- هذا نص صريح في ضابط الصحبة، فكثير من الناس قد لا يعرف مُستند العلماء في تعريف الصحابي، فهذا الحديث أحد مستندات العلماء، لأنه فرق بين مَن رأى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ومَن لقيه، ومَن لم يلقَهْ، فسمَّى من يأتي بعدَ وفاته «إِخْوَانَنَا»، وسمَّى الذين رأوه والتقوه «أَصْحَابِي»، فهذا هو ضابط الصحبة.
- ولهذا قال العلماء: مَن لقي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مؤمنًا به ولو لحظة، ومات على الإسلام؛ فهذا هو الصحابي، فينال شرف الصحبة، وينال شرف هذه المعيَّة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهذه مذكورة في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩]، والمعيَّة هنا معناها أنهم شاهدوه وجالسوه والتقوا به، لأن الأعمى يدخل في ذلك حتى لو لم يرَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مثل ابن أم مكتوم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فكل مَن لقي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وكان معه ولو مدَّة يسيرة فهو صحابي.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، فكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يود رؤية من آمنوا به بعدَ وفاته، فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم وجميع إخواننا منهم.
- قوله: (قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» قَالوا: فكَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟»).
- هنا يُبيِّن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كيف سيعرف هؤلاء المؤمنين بعد وفاته -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إذا لقيهم يوم القيامة.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ»، التَّحجيل يكون في القوائم -الأرجل- والغرَّة تكون في النَّواصي، فالخيل المحجَّلة الغر، يعني: فيها بياض في القدم والرأس، وهذه علامة واضحة.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ»، يعني: خيل لا فيها غرة ولا فيها تحجيل.

- قال: «أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟»، الجواب: (قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ)، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يعرف أتباعه من المؤمنين الذين لم يرهم في حياته؛ لأنهم ماتوا وقد أتوا بعدَ وفاته.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ»، اللهم اجعلنا من هؤلاء يا رب العالمين، ولهذا جاء في حديث آخر عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لا يُحافظ على الوضوء إلا مؤمن».
- قال: «وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ»، تقدَّم معنى "الفَرَط".
- ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَلا لَيذَادَنَّ رِجَالٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ»، البعير الضَّال هو البعير الذي ندَّ وشردَ عن مجموعته وليس من إبلك أنت، فلا تدخله مع إبلك؛ لأنه سيزعجك ويزعجها، فكذلك الذي بدَّل وغيَّرَ في الدين سيُطرد عن المجموعة المؤمنة من أمَّة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الذين يشربون من الحوض.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أُنَادِيهِمْ أَلا هَلُمَّ»، يعني: تعالوا.
- قال: «فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»، نعوذ بالله من الإحداث.
- لاحظ اللفظ الأول «لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»، وهنا قال: «إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ»، فنحفظ اللفظتين "بدَّلوا" و"أحدثوا".
- قال: (وللبخاري: «بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ»)، والله أعلم أنه خرج رجل من الملائكة، أو ممَّن يسخرهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- لمناداة هؤلاء، فيُنادي هؤلاء المبدِّلين ويقول لهم: تعالوا.
- فيسأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هذا الرجل: «فَقُلْتُ أَيْنَ؟»، يعني: أين تذهب بهم؟
- قال: «قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ»، يعني: هذا الرجل يُقسم بالله أنه سيأخذهم إلى النار.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «قُلْتُ وَمَا شَأْنُهُمْ قَالَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى»، نسأل الله العافية والسلامة، وهذا هو اللفظ الثالث «ارْتَدُّوا بَعْدَكَ».
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ -فذكر مثله- قال: فَلا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»، يعني العدد القليل، هؤلاء الذين منَّ الله عليهم بالتوبة من هذه البدع وتابوا ورجعوا، فقلَّما يتوب المبتدع من هؤلاء المبدِّلين المحدثين أو المرتدين، فلا ينجو منهم ويُوفَّق للتوبة إلا قليل.
- قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (ولهما في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما-: «فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]»).
- قال شُرَّاح الحديث من علماء الإسلام كالنووي والخطابي وغيرهم: المراد بهؤلاء هم أهل الرِّدَّة في الدرجة الأولى؛ لأنَّ هناك أقوامًا بعد وفاة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ارتدوا عن الإسلام في عهد أبي بكر الصديق،

فقاتلهم أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وقاتلهم الصحابة جميعًا معه، ورجع منهم مَن رجع، وتاب منهم مَن تاب، وقُتِلَ منهم مَن قُتل على الكفر والرِّدَّة.

- قال العلماء: ويُلحقُ بهم مَن بدَّل الدين أو أحدثَ في الدين، ولهذا فإن رؤساء الفرَق الضَّالَّة الذين قصدوا مُعاندة الرسول وتعمَّدوا مخالفة الإسلام مُهدَّدون بهذا الوعيد، وكل مَن خرجَ عن السُّنَّة وبدَّل وأحدث في الدين وأدخلَ في الدين ما ليس منه؛ فهو مُهدَّد بهذا الوعيد.
- لو قال بعض المبتدعة: هذا فيه أنَّ الصحابة حصل لهم هذا الشيء!
- نقول: لا، فقوله: «**أَصْحَابِي**»، أي: أنهم من أمَّتي؛ لأنَّه رأى فيهم علامات الغُرَّة والتَّحجيل، ولكنهم بدَّلوا، فهم دخلوا مع الناس لأنهم يُظهرون الصلاة، ولكنهم لما بدَّلوا وارتدوا حصلت لهم هذه العقوبة الشديدة، أمَّا الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- فكلهم مؤمنون، ولا يدخل فيهم هذا الوعيد، ولهذا فإنَّ الصحابة عُرفوا بالثبات على الإسلام ونصرة الدين، ولم يُعرفوا بضد ذلك، والحمد لله رب العالمين.
- فهذا -أيها الإخوة الكرام- يؤكِّد لنا هذه المسائل العظيمة، وهي أنَّ الإنسان يجب عليه أن يثبت على الدين، ويستقيم على شرع الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويستقيم على سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويحذر من التبديل، ويحذر من الابتداع في الدين، ويحذر من الإحداث في الدين، كما يحذر من الردة عن الإسلام -نسأل الله العافية والسلامة.
- والرِّدَّة عن الإسلام من أخطر الأمور، بعض الناس يقول: الله يثبتنا وإيَّاك وجميع المسلمين؛ فكلنا يجب أن نخاف ونقول: يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك، وطاعة رسولك.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الحادى عشر



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرعُ في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب من باب "قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾"، من قول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (ولهما عنه مرفوعًا: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا» ثم قرأ أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] متفق عليه.
- وعن حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يستنون بغير سنتي و يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ! فِتْنَةٌ عَمْيَاء، وَدُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: «قومٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ

بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ يا رسول الله: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذلِكَ؟، قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ على أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». أخرجاه. وزاد مسلم: ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ: «ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ».

- وقال أبو العالية: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسُنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء". انتهى.

- تأمل كلام أبي العالية -رحمه الله تعالى – هذا؛ ما أجله وأعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسُنة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السُنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾. وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة وبمعرفتها يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله ويظنها في قوم كانوا فبادوا. ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

- وعَنْ ابن مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]». رواه أحمد والنسائي)}.

- هذا إكمالٌ للباب الذي عنونَ له الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه "فضل الإسلام" بعنوان: باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾، وأوردَ في هذ الباب الآيات الكريمة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾، ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ...﴾، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾، ثمَّ أوردَ مجموعةً من الأحاديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقد تقدَّمَ بعضها في الحلقة الماضية، ووصلنا إلى هذا الحديث، وهو حديثٌ عظيمٌ، حديثٌ يُبين فيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- معنى قول الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، حيث يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنتُمْ تَجْدَعُونَهَا»، ثم قرأ أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وهذا الحديث مُتفق على صحَّته، رواه البخاري ومسلم.

- ومعنى قوله: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ»، يعني: من بني آدم، فكل بني آدم يُولَدون على هذا النَّحو، وهو أنهم يُولَدون على الفطرة السليمة.

المراد بالفطرة: قبول الحق والميل إليه ومحبَّته والرغبة فيه، والميل إلى أدلَّة الحق وظهورها، لأنه لا يُمكن أن تُغيَّر هذه الفطرة، فكل مولود يُولَد في أرجاء المعمورة ومن جميع الأمم ومن جميع الأجناس على هذا النَّحو السليم، ثم يأتي العارض والمُفسِد من خارج هذا المولود، فيحدث الفساد في عقيدته وفي دينه.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ»، أي: يجعلانه يهوديًّا لأنهما يهوديان.
- قال: «أَوْ يُنَصِّرَانِهِ»، أي: يجعلانه نصرانيًّا لأنهما نصرانيَّانِ.
- قال: «أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، أي: يجعلانه مجوسيًّا، لأنَّ الأبوين مجوسيَّانِ.
- قال: «كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ»، يعني: كما تُولَد البهيمة، ولا يُقال: "تُولِد" البهيمة؛ لأن عبارة الولادة تُقال في الإنسان، وفي بعض الحيوانات وليس كلها، ولكن في البهيمة ونحوها يُقال: "تنتَج"، ولهذا في حديث الثلاثة الأقرع والأبرص والأعمى؛ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فولَّد هذا وأنتج هذان»، فالإنتاج هنا بمعنى الولادة.
- قوله: «بَهِيمَةً جَمْعَاءَ»، يعني: مجتمعة الأذُن والخَلق، ما في نقص في أذنها.
- قوله: «هَلْ تُحسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»، يعني: هل تجدون قطعًا في أذنها؟ لأن الجاهليين كانوا يُقطِّعون الآذان، فإذا أنتجت البهيمة قطعوا أذنها، إما يقطعون نصفها أو ربعها، أو يقطعونها كاملة، أو يشقُّونها شقًّا ويُخرِّقونها، فهذا من تصرفات الجاهليين.
- وضرب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هذا المثل ليُبيِّن للصحابة أنه إذا أنتجت هذه البهيمة فإن نتاجها يأتي ببهيمة جمعاء، فهل تجدون فيها مقطعة الأذن؟! ثم قال: «حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا».
- وهذا يُبيِّن أنَّ الإنسان يُولَد سليمًا على قبول الحق والميل إليه، كما أن البهيمة تُولَد مجتمعة الأذن، فالإنسان لا يُولَد على الشِّرك، بل يُولَد على السلامة وقبول الحق والميل إليه، ولا يقع الشرك في نفس الإنسان ولا يريده ولا يقصده ولا قلبه ممتلئ به من حين ولادته؛ بل يُولَد بعيدًا عن هذه الضلالات، مقبلًا على الحق مائلًا إليه، حتَّى يأتي مَن يَحرِفه ويصرفه عنه من النصارى أو المجوس أو اليهود أو الملاحدة. وهذا يؤكِّد لنا معنى قوله -جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾.
- ثم أورد المؤلف حديث حذيفة بن اليمان، وهو حديثٌ عظيمٌ في لزوم الجماعة، وفيه علامات الساعة، وفيه فوائد شتَّى، قال: (وعن حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي)، هذا فيه دليلٌ على أنَّ الإنسان يجب عليه أن يخاف مِنَ الشَّرِّ، ويُغلق أبوابه دونه، ويبتعد عن دُعَاةِ الشَّرِّ ودعاة الفتن حتى لا يقع فيها.
- ويجب أن نعلم أنفسنا ونعلم أبناءنا وبناتنا أن يحذروا من الشرك، وأن يحذروا من الكفر، وأن يحذروا من الضلالات.
- قوله: (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟)، يعني بعثة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- خير، والإسلام كله خير، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كله خير

محض، ما فيه أدنى نقص، فاللهم صلِّ وسلم عليه، وكل ما جاء به هدى ونور ورحمة وسلامة ونعم لا تحصى، فاللهم صلِّ وسلِّم عليه.

- فالله -جَلَّ وَعَلَا- جاءنا بهذا الخير، وهو بعثة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: (فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟)، يعني: بعدَ بعثتكَ وما جئتَ به من الخير؛ هل يأتي شر؟
- والكلام هنا عن الأزمان، والمعنى: أننا كنَّا في زمان جاهليَّةٍ وشرٍّ، ثم جئتَ بالهدى والنور -يقصد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهل بعد هذا الخير من شر؟
- فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «نَعَمْ»، سيأتي شر.
- قوله: (قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟)، يعني: إذا جاءنا شر، فهل سيأتي بعده خير؟
- فقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ»، يعني: ليس خيرًا صافيًا مثل بعثة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- خير مُطلق، ورحمةٌ مُطلقة كاملة، كل ما جاء به خير، ولا شرَّ فيه بأي وجهٍ من الوجوه -صلوات الله وسلامه عليه.
- قوله: (قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يستنون بغير سنتي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»).
- قوله: «قَوْمٌ» يقصد بهم ولاة الأمر.
- قوله: «يستنون بغير سنتي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي»، يعني: يتركون سنن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وبعض الأمور، ويهتدون بغير هدي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قوله: «تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، يعني: فيه أمور من المعروف يعرفونها، مثل أنهم يصلُّونَ ويصومون ويزكُّونَ ويحجُّونَ؛ فهذا من المعروف، وربما يقعون في معاصٍ من خمرٍ أو من زنا، أو من تأخير الصلاة عن وقتها.
- قوله: (قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ! فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، وَدُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»)، نسأل الله العافية والسلامة.
- يعني: الخير الذي فيه دخن لا يستمر أيضًا، وسيأتي بعده نقصٌ أشد، وهو «فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ»، يعني شديدة، لا تكاد ترى فيها الحق إلَّا قليلًا بسبب شدَّتها وعظمتها، إلا مَن هدى الله -جَلَّ وَعَلَا- فإنه يهتدي بنور الحق.
- ثم قال: «وَدُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»، أي: دعاة سوء، سواء كانوا أمراء ضلالة، أو علماء فسق، أو عبَّاد جهلٍ؛ فهؤلاء الثلاثة هم الذين يضلون الناس.
- والذين يضلون الناس ويدعونهم إلى الباطل:
  - إما أمراء ضلالة.
  - وإما علماء سوء.
  - وإما عباد جهالة.
- ويدخل في الأمراء أحيانًا شيوخ القبائل، أو رؤساء الجيش، فإذا كانوا على ضلالةٍ عظيمةٍ يدعون إلى النار دخلوا في هذا الوصف.

- و "دعاة" جمع "داعٍ"، والداعي يقول للناس: تعالوا معي، أنا عندي كذا...، وكذا...؛ ولكنه واقفٌ على الباب، وهذا الباب يدخل على جهنَّم. قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، وهذا يكون أوضح ما يكون فيمَن يدعو إلى تكذيب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أو يدعو إلى تصديق المتنبئين الكذابين مدَّعي النبوَّة، أو يدعو إلى تنحية الشريعة الإسلاميَّة، أو يُعاند سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فهناك من يدعو إلى تصديق بعض الأحزاب الاشتراكيَّة والشُّوعيَّة والعلمانيَّة، وتنحية الإسلام، وإبعاد القرآن والسنَّة عن المجتمع، ودعاة إلحاد وكفر؛ فهذه أمثلة على قوله «وَدُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ»، فهؤلاء يأتون في وسط المجتمعات الإسلاميَّة، أما لو كانوا وسط الأعداء فالناس يعرفونَ أنهم مع الأعداء، ولكنهم يأتون إلى وسط المجتمعات الإسلاميَّة فيدعونَ إلى هذه الضلالة.
- ثم سأل حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- سؤالًا، فقال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: «قومٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»).
- وكما تقدَّم؛ أنَّ هؤلاء داخل المجتمع الإسلامي، ومن داخل المسلمين، وهم من بني جلدة المسلمين، ويتكلَّمون بلسان المسلمين، فيضلونَ الناس، وهنا يأتي خطر دعاة الضلالة، وخطر الدعوة إلى الضلالات، وهذه الظلمات -نسأل الله العافية والسلامة.
- فقال حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قُلْتُ يا رسول الله: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذلِكَ؟، قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»)، وهذه نصيحة مُهمَّة جدًّا!!
- والله -عز وجل- هو الذي يُوحي إلى رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وهو يعلم السر وأخفى، ويعلم ما كان وما سيكون، ويعلم كل شيء -سبحانه وتعالى- فهو رب العالمين، وهو الذي خلق هذه الخلائق، ويعلم كل ما سيجري في هذا الكون، ويعلم أن هناك دعاةً على أبواب جهنَّم سيخرجون، ويعلم كل هذا بقدره، فمن فضل الله على هذه الأمَّة أن بيَّنَ لها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، فكيف نتَّقي هؤلاء؟
- ذكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هذه الجملة العظيمة «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فإذا كان المسلمون مجتمعين على إمام مُسلم فأنت تكون معهم، حتى لو كان هذا الإمام عنده نقصٌ ودخنٌ وضلالة، فلا توافقه على ضلالته، ولا توافقه على نقصه، ولكن لا تخرج عليه وتشق العصا، وتفرق جمع المسلمين وتشذَّ عنهم، وهذا معنى قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».
- ثم قال حذيفة سؤال آخر وهو من الأهميَّة بمكان أيضًا: (قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟)، يعني: فوضَى عارمة، فليس هناك سلطان في البلد ولا جماعة مجتمعون، والناس يهرجون ويمرجون، لا يدرون أين يذهبون، وكلٌّ ينادي لنفسه، فماذا تفعل أيها المسلم؟
- هُنا التوجيه النبوي واضحٌ وصريحٌ، إذا تمسَّكتَ به نجوت، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ على أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

- لَمَّا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ»، أكَّدَ فقال: «كُلَّهَا»، يعني: لم يستثنِ أي فرقة من الفرق، فإذا لم يُوجَد إمام للمسلمين، وأحيانًا يوجَد هذا في بعض الأزمنة في بعض البلدان وليس كل البلدان؛ فقد يحصل هرجٌ ومرجٌ في ناحية من نواحي المسلمين، فيذهب السلطان عنهم، وتتفرق كلمتهم، فالمسلمون يعتزلون السيف، ويلزمون البيوت حتى تجتمع الكلمة.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا»، حتى لو جاءك ناس وقالوا: نحن أهل سنَّة تعالَ قاتل معنا؛ فاتركهم واعتزل، وهذا هو توجيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

ما نهاية هذا الاعتزال؟

- أحد أمرين، وذكر الأمر التابع للسؤال، وهو إذا لم يكن جماعة ولا إمام، وهذا الأمر هو: «حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»، فكنْ بعيدًا عن الفتن، والزمْ بيتك واعتزل الناس، ونسأل الله أن لا يُذيقنا هذه الحالة المريرة، وأن يُعيذنا منها، فلا يوجَد سلطان ولا ولي أمر في البلد، ولا يوجد جماعة، وكل الناس في هرج ومرج، وبعض الجماعات التي يسمونها جماعات إسلامية تستغل هذه الفرصة وتقول: تعالوا معنا والتحقوا بنا؛ لا، فاعتزل تلك الفرق كلها.
- فإذا عمَّ الشَّرُّ، وزالَ السُّلطانُ، ولا يُوجد حاكم، ولا توجد جماعة؛ فلا تطيعهم، الزمْ بيتك، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».
- فإذا اجتمع الناس على سلطانٍ في هذا البلد فالحمدُ لله، تسمع وتُطيع في غير معصية الله، وتلزم الجماعة والإمام.
- وهذا التوجيه النبوي توجيه عظيمٌ جدًّا، خاصَّة فيما يتعلق بالقتال والفتن، إذا عمَّت الفوضَى في بعض البلدان الإسلاميَّة اليوم، يأتي بعض الناس يقول: التحقوا بالفصيل الفلاني، أو كذا...؛ وهنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا»، فأنا لا أطيعكم، وإنما أطيع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قوله: (قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟)، ما لهم جماعة ولا إمام، فماذا أفعل؟ قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا»، لم يستثنِ أحدًا إطلاقًا، ثم قال: «وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ على أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»، فهذا كلامٌ واضح، فتصبر حتى يفرج الله -عز وجل- ففي بعض البلدان عمَّت الفوضى واقتتلوا فيما بينهم، نسأل الله أن يصلح حالهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق وعلى الدين وعلى السنة والتوحيد، ولكن أعظم ضلالة أن يلحق بأعداء الله، ويلحق بالمبتدعة، ويلحق بمن يسفك الدماء بغير حق، ويعتدي على الآمنين، ثم يظن أنه مهتدٍ! هذا خالف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وزاد مسلم: ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ: «ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»).
- هذا يدل على أنَّ هذه الأمور تكون في آخر الزَّمان، ولو وقعت قبلُ فقد تستمر في بعض النواحي وقد تنقطع ويجتمع الناس، ومن ناحية النَّظر للتاريخ الإسلامي تجد أنه في سنة ٦٣ هـ بعد يزيد بن معاوية، حدثت فرقة،

ثم على مر التاريخ الدول الإسلامية التي تولَّت في أوان زوالها يحدث مثل هذه الفرقة، ثم يجتمعون، والمسلم مأمورٌ باجتماع الكلمة، ولزوم الجماعة والإمام، والبُعد عن الفتن وحمل السيف، والجرأة على دماء المسلمين -نسأل الله العافية والسلامة.

- قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ»، هذا جاء في عدَّة أحاديث، يحذرنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- من فتنة الدجال، فمعه نهرٌ يُغري الناس به، ويقول: انظروا فيه وادخلوا فيه، ومعه نار تتأجَّج، فأمرنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنَّ مَن إذا ابتُلِيَ ورأى الدجال ودعاه إلى هذه النهر فلا يَستجيب، فناره هي ماء عذب، ونهره هو النار -نسأل الله العافية والسلامة- ولهذا قال: «فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ»، يعني: أطاع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وعصى الدجال، ودخل في نار الدجال «وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ»، يعني حُطَّت ذنوبه. قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ»، يعني طمع في الدنيا التي مع الدجال، وطمع في المخاريق التي معه «وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ»، نسأل الله العافية والسلامة.
- ثمَّ أوردَ أثرًا عن أبي العالية، قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **(وقال أبو العالية: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسُنة نبيكم -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وإياكم وهذه الأهواء". انتهى)**.
- هذه النَّصيحة من أبي العالية الرياحي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وهو من علماء التابعين، وهذه النصيحة ينصح بها مَن يجلس معه من العلماء وطلاب العلم وأهل القرآن، فغالب جلساء هؤلاء هم خيرة البشر وخيرة الناس وخيرة المجتمع، فهو يُوجِّه هذه النصيحة لخيرة المجتمع.
- يقول أبو العالية: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه"، يعني: لا ترغبوا عنه يمينًا ولا شمالًا، لا بالزيادة ولا بالنقصان، ولا بالغلو ولا بالجفاء، ولا بالإفراط ولا بالتفريط، ولا تقل: هذا شيء سهل وبسيط يعرفه الأطفال والصغار، وأنا كبير وشيخ وكذا...؛ انتبه واحذر من هذا.
- ثم قال: "وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسُنة نبيكم -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وإياكم وهذه الأهواء".
- إذن؛ بدأت الأهواء في زمن التابعين، ومن هذه الأهواء فتنة الخوارج والمرجئة والشيعة والقدريَّة، وربَّما بدايات التَّصوُّف والمعتزلة، فاتركوا هذه الأهواء كلها واجتنبوها.
- ثم يأتي تعليق من الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكما تلاحظون في سائر الأبواب تعليقات الشيخ لا تكاد تجدها إلا يسيرًا، وهذا تعليق طويل ما، فلننظر في هذا التعليق، ولننظر في توجيهات الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.
- يقول: **(تأمل كلام أبي العالية -رحمه الله تعالى - هذا)**، يعني: الكلام السابق ذكره.
- قال: **(ما أجلَّه)**، يعني كلام مُهم جدًّا له جلالة وقدر وله أهميَّة.
- قال: **(وأعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء)**، يعني: تذكر أيها القارئ وأيها المستمع وأيها المنصت، الشيخ في القرن الثاني عشر، ونحن الآن في القرن الرابع عشر، وأبو العالية في القرن الأول -قرن التابعين- فهل الأهواء في زمانهم مثل الأهواء التي في زماننا؟!

- الجواب: لا، أهل زماننا أكثر وأكثر، والضلالات أكثر وأكثر، والانحرافات أكثر وأكثر؛ ومع ذلك خاف أبو العالية على خيرة الناس، وعلى طلبة العلم، وعلى الصالحين، فحذَّرهم ونصحهم.
- قال: (وأعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام)، فمن كلام أبي العالية "لا ترغبوا عنه"، فإذا اتَّبعتم الأهواء رغبتم عن الإسلام.
- قال: (وتفسير الإسلام بالسُنة)؛ لأنه قال: "فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسُنة نبيكم"، ففسَّر الإسلام بالسُّنَّة.

وقيل: إن الإمام أحمد قال له رجل: عافاك الله يا إمام وثبَّتك على الإسلام. فقال أحمد: والسُّنَّة.

وهذا لأن الإسلام هو السنة، والسنَّة هي الإسلام، ولكن بعض الناس يأخذ الإسلام بالمفهوم العام، ويرى تطبيقات المسلمين فيجعلها الإسلام، فأراد تنبيهه على أن المطلوب من المسلم التزام سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ثم قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السُنة والكتاب)، يعني خوف أبي العالية على هؤلاء.
- قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾).
- الشيخ هنا يرجع إلى النصوص التي أوردها في أول الباب، فهذه النصوص إذا جمعتَ بينها وقرأت أثر التابعي؛ عرفت أنَّ التابعي فهم النصوص، والآن زاد اهتمامك بمعرفة معاني هذه الآيات، وهي أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يهتمون بالثبات على الدين، يهتمون بالتَّمسُّك التَّام به، وعدم الانحراف عنه يمينًا ولا شمالًا.
- قال: (وأشباه هذه الأصول الكبار)، يعني: كرِّر على قلبك وعقلك وفكرك هذه الأصول الكبار، بعض الناس يجعل الأصول الكبار ما قعَّده علماء الكلام المذموم، فيجعلون قواعد وأصول في الدين يسمونها "أصول الدين" ويريدون بها كلام المتكلمين من الجهميَّة والمعتزلة ومَن يُحرِّف الصفات، لا؛ بل أصل الأصول هو الذي في القرآن والسنَّة.
- قال: (وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة)، فحتَّى بعض المتفقِّهة وبعض الدَّارسين صار في غفلةٍ عن هذا الأصل الكبير، صار يشتغل بأشياء ويُهمل إخلاص العبادة لله، يرى مَن يعبد غير الله ويسكت! ويرى من يتبرَّك بالقبور ويسكت! ويرى مَن يقع من الشركيَّات ويسكت ويشتغل بالفقه!
- فهذا أهمل أصل الأصول وهو التوحيد، وأساس الدين وهو العقيدة؛ فلابدَّ أن تجمع مع الفقه ضبط الأصول، وضبط الدين، وضبط العقيدة.

- قال: (وبمعرفته يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها)، ويقصد الأحاديث التي وردت في أول الباب «بدلوا..»، «أحدثوا...»، «إنما ارتدوا بعدك القهقرى»، وأمثالها.
- قال: (وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله ويظنها في قوم كانوا فبادوا: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩])، يعني بعض الناس يقرأ هذه الأحاديث وهذه الآيات وهو مقيم على الشركيَّات، ويرى البدعيَّات ولخرافات والوثنيَّات في جماعته وهم يدَّعونَ الإسلام، ثم يقرأ هذه النصوص وهو آمن ويقول: نحن على أحسن حال؛ بل إن بعضهم يقول: ما دام أن الإنسان يقول "لا إله إلا الله": فلا يضره أن يقع في هذه الشركيَّات والتعلق بالأموات! نسأل الله العافية والسلامة.
- فنبي الله إبراهيم يوصي بنيه، ويعقوب يوصي بنيه، ونحن آمنون ما نوصي أبناءنا ولا نحرص على أبنائنا! فماذا استفدنا من قراءتنا هذه؟! فحتى أنا معني بهذا، أهتم بأبنائي، وأهتم ببناتي، وأهتم بطلابي، وهكذا كل معلم، وكل مُربٍّ، وكل موجِّه، وكل مسؤول، وكل ولي أمر؛ لا تجعل هذه الآيات لغيرك وأنت غير معني بها، فهذه تنفعك وتنفع مَن بعدك، أسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، وأن يثبتنا عليه.
- ثم ختم المصنف هذا الباب العظيم بحديث ابن مسعود، قال: (وعَنْ ابن مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]». رواه أحمد والنسائي).
- هذا الحديث يؤكِّد ما تقدَّم، يدل على أن الإنسان على خطر، وأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يقول: هناك سبيل واحد للحق، وهناك سُبُل للباطل، وهذه السُّبل موجودة، فسبل الباطل عليها دعاة يدعونَ الناس إليها، قال: «عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، شيطان إنسي، وشيطان جني، وكما ترون الآن سبل الباطل كثيرة جدًّا لا تُحصى، أمَّا سبيل الحق فواحد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.
- وهذا يؤكِّد لنا أنَّ معنى "السُّبُل" هنا: الشُّبهات والضَّلالات، وطرق الغواية، وطرق الهلاك، وطرق البدعة، مثل الفرق المبتدعة، ومثل الأحزاب الضَّالَّة، ومثل الأفكار الخبيثة الضالَّة التي تضل الناس عن صراط النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- وبهذا نعرف أهميَّة الثبات على الصراط المستقيم، ونعرف خطر الشبهات، ونعرف فائدة مهمَّة، وهي أن الإنسان يجب عليه أن يغلِّب جانب الخوف ما دام حيًّا، فالإنسان يجمع بين الخوف والرجاء، ولكن إذا ما كان فيه خوف فسيأمن على نفسه فيسقط في المحظور، ولكن إذا كان يجمع بين الخوف والرجاء، وإذا كثُرت الضالات يُغلب جانب الخوف ويُغلب جانب الحذر والوقاية والحماية لنفسه ولمن معه، أما أن يُفتَح الباب للجميع وتدخل كل سبل الضلال على أولادي باسم الثقافات والتَّعايُش مع الفنون، والتعايش مع الأفكار، والتعايش مع المجتمعات؛ فهذه هي السُّبل التي حذرنا منها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وما الفائدة من

تحذيره إذا كنتَ تفتح على الناس هذه الضلالات! فهذا خطأ منهجي، ومخالفة لتوجيهات الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- فنتعلَّم لنحذر، ونهيئ جماعة من الناس لأن يعرفوا بعض الأمور التي نحتاجها في الدعوة إلى الإسلام، وما ينفع الأمَّة، أما أن نجعل كل مَن هبَّ ودبَّ يدخل على هذه الأشياء المفتوحة من سبل الضلالة من ثقافة اليهود وثقافة النصارى وثقافة الغربيين وثقافة الفلاسفة؛ فهذا لا شك ولا ريب أنه سيهلك، فكل هذه الضلالات معها شياطين تدعو إلى النار، يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»**. فالحذر الحذر!

البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الثانى عشر



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء)
- وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرفوعًا: «بَدَأَ الإسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». رواه مسلم وأحمد من حديث ابن مسعود وفيه: "ومن الغرباء؟" قال: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ». وفي رواية: «الْغُرَبَاءُ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاس». وللترمذي من حديث كَثِير بن عبد الله عن أبيه عن جده: «طُوبَى لِلْغُرَبَاء الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي».
- وَعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقُلْتُ لَهُ: "يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ! كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]؟". فَقَالَ: "أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «بَلْ

ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهِنَّ مثل القابض عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ» قلنا: "مِنَّا أَمْ مِنْهُمْ؟". قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ». رواه أبو داود والترمذي. وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ولفظه: «إن من بعدكم أيامًا الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم؛ له أجر خمسين منكم»، قيل: يا رسول الله منهم؟ قال: «بل منكم».

- ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد أنبأنا أسد قال سفيان بن عيينة عن أسلم البصري عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت لسفيان عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ؟ قال: نعم، قال: «إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في الله، ولم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش، وستحوّلون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذٍ بالكتاب والسُنة له أجر خمسين» قيل: منهم؟ قال: «لا بل منكم». وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «طوبى للغرباء الذين يُمسكون بكتاب الله حين يُترك ويعملون بالسُنة حين تطفأ»)}.

- لفظ "غربة الإسلام" و"الغرباء" جاء عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هكذا، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ».
- المراد بالغربة: أي أن المتمسِّك بالإسلام والثابت على الإسلام يكون عددهم قليلًا، حتى يكون أكثر الناس على خلاف هذا الأمر، فيرى المتمسّك بالإسلام حاله وشأنه أنه في غربة، كالمسافر الذي اغترب عن بلده.
- ومعنى غربة الإسلام: أنَّ أهله المتمسكون به سيكون عددهم قليلًا حتى يشعرون بالوحشة والقلَّة، ويشعرون بأن الأكثريَّة على خلاف هذا الأمر.
- وقوله: (فضل الغرباء)، يعني: المتمسكون بالإسلام حتى لو ضلَّ الناس.

فهذا مُصطلح شرعي ولفظ شرعي، لا يجوز أن نتعقَّبَ على كلام الله وعلى كلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما يحلو لبعض التافهين أن يقول: أن هذا يجعل الإنسان يعيش في عُزلة شعوريَّة!

- ويجب أن نقبل ما قاله الله وقاله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وأن ننزله منزلته، وأن نفهمه فهمه الصحيح السليم حسب ما دلَّت عليه النصوص، وحسب ما فهمه الصحابة ومَن تبعهم بإحسان.
- قال: (وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]).
- هذه الآية في آخر سورة هود، لَمَّا قصَّ الله قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وإبراهيم، وشعيب، ثم موسى وهارون مع فرعون وجنده؛ بعد هذه القصص العظيمة ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- حال الناس في الآخرة، وذكَّر الرسول فقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]، ثم قال في آخر السورة: ﴿وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٤- ١١٦].

- فقوله: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، يعني: هلَّا كان من الأمم السالفة.
- قوله: ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾، يعني: عدد قليل.
- قوله: ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾، يعني: هلَّا كان من هذه الأمم التي أهلكناها بقيَّة منهم بقيت ينهون عن الفساد الذي حصل في هؤلاء؟!

  فالذين أنجاهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- هم ينهون عن الفساد ويأمرون بالتوحيد، ويأمرون بالإصلاح، ويأمرون بالدِّين، أمَّا الذين أهلكهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- فلم يكن فيهم هؤلاء، وهذا محل استنكار لهؤلاء الذين كفروا بالله وبرسله.
- قوله: ﴿إلا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، إذن؛ البقيَّة الذين ينهونَ عن الفساد في الأرض هم المصلحون.

- واليوم مصطلح "الفساد" ومصطلح "الإصلاح" حصل فيه استخدامات متعددة، حتى صار الكفار من اليهود والنصارى يأتون بكلمة "الإصلاح"، ويقولون: فلان إصلاحي، والحزب الإصلاحي.
- فالإصلاح عندهم ليس هو المفهوم الشرعي، فيجب أن نفهم الإصلاح بحسب ما بيَّنه الله -عَزَّ وَجَلَّ- لنا، ونفهم الفساد والإفساد بحسب ما بيَّنه الله -عَزَّ وَجَلَّ- لنا.
- فالإصلاحي عند الكفرة: هو الذي يتمرَّد على الموروثات، ويتمرَّد على النصوص، وهم عندهم نصوص محرَّفة، عندهم دين محرَّف باطل لا يجوز اتباعه؛ بل يجب اتباع الإسلام.

  والرَّجعي عندهم: هو الذي يتمسَّك بالموروث على ما فيه من ضلالات وشركيَّات وخرافات وتبديل وتحريف.

  إذن؛ لا عبرة لنا بمصطلحات الكفار، ولا يجوز لنا أن نسوق ونسوِّقَ مصطلحاتهم وأفهامهم الفاسدة ودينهم المحرَّف فننزله على ما عند الإسلام وأهل الإسلام.
- كما قصَّ الله لنا عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، فنسأل الله العافية والسلامة.
- والصلاح والإصلاح في الأرض إنما يكون بالتوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على ما توجبه الشريعة، وليس على الأهواء، وكذلك الإصلاح في الأرض يكون بمحاربة الشرك، وتطهير الأرض من الشرك، فالشرك هو أعظم فساد.
- قال الله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، هنا مدح الله هؤلاء بأنهم مصلحون، فوُصفوا بوصفين: التَّمسُّك بالكتاب، وإقام الصلاة، والتَّمسُّك بالكتاب يشمل التَّمسُّك بالسنَّة.
- والجانب الثَّاني: إقام الصَّلاة، والصَّلاة رأس العبادات، وهي عمود الإسلام، فإذا أقام الصَّلاة أقام ما بعدها من الأمور الماليَّة مثل الزكاة، ومن الصوم، ومن الحج، إلى آخره.. فهذا هو الإصلاح.

- قوله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، فيه دعوة إلى المسلم أن يثبت على الحق، وأن يكون مثل هؤلاء البقية الذين ينهونَ عن الفساد في الأرض، وهذا دليل على أن الأمم السالفة حدث فيها قلَّة للمؤمنين والصالحين، وقلَّة من المتمسّكين بالشَّرع المنزَّل عليهم، فهكذا سيحدث في أهل الإسلام، فسيكون فيهم قلَّة في آخر الزَّمان، وبالفعل وُجِدَ في بلدان المسلمين مَن يُحارِ بالشريعة الإسلاميَّة ويُبغض تحكيم الشريعة الإسلاميَّة، ويفرح إذا قيل القانون البريطاني أو القانون الفرنسي ويطرب لذلك، وإذا قيل: "قال الله وقال الرسول"؛ فرَّ وضاقَ وتبرَّمَ، فهذا من المفسدين في الأرض، ولكن هو لا يشعر أنه مُفسد، هو لا يريد الكتاب والسنة، ويتعلل بالعلل الباردة، ويحتج ربما بأفعال بعض الأشياء التي ترد على الناس، ويترك كتاب الله وسنَّة رسوله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].
- ومن الغربة أيضًا ومن أفعال المفسدين في الأرض: نشر الكفر، ونشر الإلحاد، ونشر الإباحيَّة، ونشر التحلل من القيم والأخلاق.
- وهذا الأمر جاء مصرَّحًا فيه بقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

◆ **قوله: «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا»، أين بدأ الإسلام؟**

- في مكَّة، لَمَّا أوحى الله إلى نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهدى الله -عَزَّ وَجَلَّ- مَن شاء من الصحابة، أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، وخديجة، وبدأ الإسلام يكثر أهله شيئًا فشيئًا؛ فكان عددهم قليلًا، فكان بدء الإسلام غريبًا، يعني: كان عدد قليل، والكفار ملئوا الأرض.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»، وهذا من علامات النبوَّة، ومما يدل على أن رسول الله حقًّا، ونبي الله صدقًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، فقد أخبر بأمر لم يره، وقد وقع في الأزمان المتأخرة، حتَّى عمَّ الشرك، وعمَّت الخرافة في أزمان، فصار أغلب البلدان -وليس كل البلدان- يتقرَّبونَ إلى الأضرحة والأموات ويستغيثون بالسَّادة، ويتبرَّكونَ بهم، ويعتقدون أنهم يعلمون الغيب، فتحوَّلت كثير من البلدان كما وصف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في قوله: «وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ».
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، طوبى: هي الجنة، وهذا دعاء من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يعطيهم الجنَّة.
- قال المؤلف: (رواه مسلم وأحمد من حديث ابن مسعود وفيه: "ومن الغرباء؟" قال: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ». وفي رواية: «الْغُرَبَاءُ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاس»، وللترمذي من حديث كَثِير بن عبد الله عن أبيه عن جده: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»).
- هذه الروايات تشرح المعنى لكلمة "الغرباء"، فوصفوا بأنهم «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ»، يعني ليس الجامع بينهم القبيلة، وليس الجامع بينهم أنَّهم من جنسٍ واحدٍ، أو من القبيلة الفلانية، أو من العرب، أو من الروم، أو من الحبشة، لا؛ بل هم «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ»، يعني يجمعهم الدين، وهذا فيه بيان أن الرابطة العظمى بين

المسلمين هي الإسلام، وهي الرابط التي يجب أن يُعتَزَى بها ويُفرَح بها، ولا يُفرَح بغيرها، فالذي يجمع بين المسلمين هو الدين، ولهذا فإن «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ» جمعهم الدين؛ نسأل الله أن يثبتنا وإيَّاكم وجميع إخواننا المسلمين على هذا الدين.

✸ الصفة الثانية من صفاتهم: «الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاس»، هم أنفسهم يصلحون.

✸ الصفة الثالثة: «يُصْلِحُونَ»، وهذا مقامٌ أعلى؛ لأنَّ الإصلاح هو الدعوة إلى السنة.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «الَّذِينَ يُصلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»، يعني أن بعض الناس يفسد السنَّة، ويترك السُّنة المحمَّديَّة إلى غيرها من الجاهليَّات أو البدعيَّات أو الخرافات أو الشِّركيَّات، فياتي هؤلاء الغرباء يقولون للناس: هذا غلط، هذه السنَّة المحمَّديَّة كذا وكذا، فيهتدي من الناس من يهتدي بسبب هؤلاء.
- والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قد مدح هذه الطائفة من الناس، وهم الذي يُصلحون، ويدلون الناس على السنَّة المحمَّدية.
- قال المؤلف: (وَعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقُلْتُ لَهُ: "يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ! كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]؟". فَقَالَ: "أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا)، يقصد نفسه وأنه خبيرٌ بالمعنى؛ لأنَّه سأل الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عن هذه الآية، ولهذا قال: "سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا".
- قال المؤلف: (ثم قال: "سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهِنَّ مثل القابض عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ» قلنا: "مِنَّا أَمْ مِنْهُمْ؟". قَالَ: «بَلْ مِنْكُمْ». رواه أبو داود والترمذي)، وستأتي بعض الروايات الشَّارحة لبعض الألفاظ الواردة في هذا.
- وهذه الآية الكريمة قد يقرأها بعض الناس ويفهم منها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك النصيحة، وقد قام أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- خطيبًا يشرح هذه الآية، ويُفنِّدُ الغلط في فهمها.
- وهنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فصَّلَ، فذكر أنه متى يُعتزل الناس، وأنه يكون إذا عمَّ الباطل وعمَّ الشر بحيث لا يوجد خير في الأرض، فحينئذٍ لك أن تتركهم وتبتعد عنهم، وهذا يكون في آخر الزمان عندما يعم الشر، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بهَا شَعَفَ الجِبَالِ ومَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»[٣٢].

---

[٣٢] صحيح البخاري (١٩).

- فما دام أن المسلمين يقيمون الجمع والجماعات تحت الإمام ولي الأمر ولو كان فيهم من الشرور ما فيهم، ولكن ما دام فيهم هذا الخير وهذا الاجتماع، فتبقى معهم تصلح ما تستطيع، تبقى حتى إذا ما استطعت وأطبق الشرُّ على الأرض كلها.
- قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا»**، والشح موجود في النفوس، فما فيه نفسه إلا وفيها شح، ولكن يكون مذمومًا إذا أطاع الشح، فبخل بالزكاة، وبخل بأداء الواجبات، وبخل بالنفقة على مَن تلزمه النفقة عليه.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَهَوًى مُتَّبَعًا»**، يعني: رأيت الهوى هو المتبع في تركهم للدين.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً»**، يعني: آثروا الدنيا على الدين، وأعرضوا عن الدين تمامًا.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ»**، الآن يقولون: الرأي والرأي الآخر! وكل واحد الآن يقول: أرى وأرى...، وفي رأيي...، وفي ظنّي...؛ ويعرض عن الكتاب وعن السنة، ويعرض عن قول الصحابة، ولا يُبالي بذلك ولا يهتم لذلك، معجب لرأيه، مستحسنٌ لعقله.
- ولهذا فلا يجوز للإنسان أن يعتزل جماعة المسلمين وإمامهم ويشذ عنهم، ويترك الجمع والجماعات، وهذا فعل الخوارج، لكن إذا زال هذا الخير كله، ولم يُوجَد جمعة ولا جماعة ولا إمام؛ فحينئذٍ يُرخَّصُ لك في اعتزال الناس، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ»**.
- ثم قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرُ فِيهِنَّ مثل القابض عَلَى الْجَمْرِ»**، هذا المثل مثلًا نبويًّا، والمثل القرآني والمثل النبوي يجب العناية بجميع أجزائه واطرافه، فإنها مقصودة، فالقابض على الجمر يشعر بالحرارة والألم، وربما يحترق بعض الجلد ويتأذَّى، وهكذا المتمسك بالسنَّة يجد الأذى، ويجد المضايقة، ويجد العنت من بعض الناس، وبعض الناس يستهزئ به ويتهكَّم به على تمسُّكه بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وهذا مثل القابض على الجمر، فلا يُرخَّص له في ترك السنَّة لوجود الأذى، اصبر على أذى الناس، واصبر على السُّنَّة.
- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ»**، فلمَّا كان هذا البلاء العظيم، وهذا العنت الذي يُواجهه المتمسِّك بالسُّنَّة صار له الجزاء الكبير من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فصار عمله وتمسُّكه بالدين صارت استقامته بالدين يُضاعف له بأجر خمسين من الصحابة لو عملوا.

◆ **هل معنى هذا أنه أفضل من الصحابة؟**

- الجواب: لا، ليس معناه أنه افضل من الصحابة، ولكن الله يُجازيه، فيُضاعف له عمله حتى يكون هذا العمل مضاعفًا خمسين ضعفًا مثل ما لو عمله الصحابي، فلو عمل الصحابي صدقة، كأن يتصدَّق بمُد أو نصف مُد، فإن هذا أعظم من جبل أُحد، فهذا الذي في زمن الغربة ويجد المضايقة ويجد العنت، ويجد أذى الناس واستهزاءهم، ويجد محاولات شتَّى لصرفه عن سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو متمسِّك بالسنَّة؛ يُضاعف له الأجر خمسين ضعفًا ممَّن لو عمل هذا من الصحابة، ولكن ليس معنى هذا أنه صار هو أفضل من الصحابة، لا يُمكن أبدًا، فالصحابة هم خير القرون.

- والصحابة سألوا هذا السؤال: "يا رسول الله منهم؟"، يعني: العمل الذي يُضاعف منَّا أو منهم؟ قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «بل منكم»، يعني: لو عملتم أنتم هذا العمل فإنه في آخر الزمان يُضاعف لمن يعمله خمسين ضعفًا، وهذا يدل على فضل الثبات على السنة، وهذا فضل الغرباء.
- قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ولفظه: «إن من بعدكم أيامًا الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم؛ له أجر خمسين منكم»، قيل: يا رسول الله منهم؟ قال: «بل منكم»)، هذا تأكيدٌ لما سبق.
- ثم أورد المؤلف حديثًا فيه بعض المقال لأنه مرسَل، وهذه الأحاديث المرسلة تعتبر في قسم الضَّعيف، ولكن العلماء يأتون بها لاستشهاد في هذه المسائل والاعتضاد بها، وليس للاعتماد، وهذا في كتاب "البدع والنهي عنها" لابن وضَّاح، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في الله، ولم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش، وستحوّلون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذٍ بالكتاب والسُنة له أجر خمسين» قيل: منهم؟ قال: «لا بل منكم». قال المؤلف: (وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «طوبى للغرباء الذين يُمسكون بكتاب الله حين يُترك ويعملون بالسُنة حين تطفأ»).
- كل هذه الأحاديث تدل على المعنى السابق ذكره، وهو فضل التَّمسُّك بالسُّنَّة وفضل الغرباء، وأن الإنسان يثبت على الإسلام ويثبت على السنَّة حتَّى لو تغيَّرَ الناس، إذا حصل في الناس وترك بعضهم صلاة الجماعة لأهواء أو لشبهات أو لدعاة ضلالة يقولون: لا تصلون جماعة في المسجد...، ويضلون الناس عن سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-؛ والمتمسِّك بالسنَّة له أجر عظيم، ولا يُبالي بهؤلاء.

- {قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب التحذير من البدع
- عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يَوْمًا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه كَأَنَّهَا موعظة مودع فأوصنا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِن بعدي عضوا عليها بالنواجذ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». قَالَ الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
- وعن حذيفة قال: "كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تتعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم". رواه أبو داود.
- وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك أنبأنا عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقال: "أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد

الرحمن! إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى، ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ فقالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعد بها التكبير والتهليل والتسبيح، فقال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلَ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج. والله المستعان وعليه التكلان. وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين)}.

- قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب التحذير من البدع
- عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يَوْمًا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه كَأَنَّهَا موعظة مودع فأوصنا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِن بعدي عضوا عليها بالنواجذ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». قَالَ الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ).
- نقف مع هذا الحديث وقفات، منها:

☑ **أولًا**: مشروعيَّة الوعظ، فإن الوعظ يكون بالقرآن وبالسُّنَّة، وهذا من كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

☑ **ثانيًا**: فضل الصحابة؛ لأن قلوبهم ليّنَة وطيِّبَة، فتأثَّروا، وذرفت عيونهم، وقد تقدَّم أن الأحوال التي يُحبها الله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- والتي تكون عند المواعظ هي:

- ✓ وجل القلب.
- ✓ دمع العين.
- ✓ اقشعرار الجلد.

☑ **ثالثًا:** في قول العرباض -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ"، وهذا ورد في الترمذي أنه بعد صلاة الفجر فقال: "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بعد صلاة الغداة"، يعني: بعد الفجر.

☑ **رابعًا:** لَّما وعظهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- تأثَّروا ظنُّوا أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- سوف يُفارق الدنيا، ولهذا قالوا: "يَا رَسُولَ اللَّه كَأَنَّهَا موعظة مودع فأوصنا"، فيه مشروعيَّة طلب الوصيَّة، إذا كان العالم من أهل السُّنة والرجل الصالح مستقيمًا على السنة؛ فاطلب منه الوصيَّة، فيُوصيك بتقوى الله، يُوصيك بطلب العلم، يُوصيك بالمحافظة على البر، يُوصيك بكذا وكذا..

- هنا طلبوا من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الوصيَّة لأنهم ظنوا أنه سيُفارق الدنيا، فقالوا: "يَا رَسُولَ اللَّه كَأَنَّهَا موعظة مودع فأوصنا"، قَالَ: «**أُوصِيكُمْ...**»، فهذه الوصيَّة للصحابة وللأمَّة، فهذه الوصيَّة لنا ولمن بعدنا ولمن قبلنا، فهي وصيَّة عامَّة، فيجب على كل المسلمين أن يعوها وأن يحفظوها، ويعملوا بمضمونها، وكلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- حق، وإذا سمعه المسلمون وجب عليهم أن يعملوا به.
- قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**»، هنا وصيتين عظيمتين:

✸ **الأولى:** فيها صلاح الدين وصلاح الآخرة، وهي تقوى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وتقوى الله -عَزَّ وَجَلَّ- تكون بفعل الواجبات وترك المحرمات، وأن تعمل بنور الله على هدًى من الله -عَزَّ وَجَلَّ- ترجو ثواب الله وتخشى عقابه، وأن تترك معاصي الله على نور من الله -عَزَّ وَجَلَّ- ترجو ثوابه وتخشى عقابه.

✸ **الثانية:** فيها صلاح الدنيا، ويكون بالسمع والطاعة لولاة الأمور.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في رواية أخرى: «**وإن كان عبدًا حبشيا كأن رأسه زبيبة**»، وهذا فيه أنه لو تولَّى أمر المسلمين أحدًا ولو كان بعض الناس لا يرضاه، إمَّا لكونه عبدًا أو لكونه حبشيًّا ليس من العرب، وإمَّا لكون رأسه فيها دمامة، وفي جماله نقص، ودميم المنظر، أو لغير ذلك من الأسباب؛ فلابدَّ من السمع والطاعة لولي الأمر.

☑ **خامسًا:** في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**تَأَمَّرَ**»، والتَّأمُّر يدل على أنه بغير اختيارهم، فذكر العلماء أن السمع والطاعة لولي الأمر، وأن الولاية تثبت بأحد طرقٍ ثلاثة:

- اختيار أهل الحل والعقد.
- ولاية العهد، وهي أن يلي بالعهد لمن بعده، فيُبايعه الناس، فإذا مات تولَّى ولي العهد.
- الغلبَة.

- وهذه الأحوال الثلاثة ذُكرت في النصوص وعمل بها الصحابة، ولهذا ذكروا هذه المسألة في ولاية عبد الملك بن مروان.

☑ **سادسًا:** في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ**»، يعني: تطول مدَّته. قال: «**فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»، المقصود بالخلاف هنا: المخالفة، والمقصود بها: البدع والأهواء.

☑ **سابعًا:** قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِن بعدي»**، سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- واضحة، وهي كل ما حُفِظَ عنه من قول وتقريرٍ وعملٍ وخُلُق، وهذه السُّنَّة يجب العمل بها والمحافظة عليها.

☑ **ثامنًا:** قوله: **«عَضُّوا عليها بالنواجذ»**، النَّواجذ: هي مُؤخَّر الأضراس الكبيرة، والعض عليها يدل على شدَّة التَّمسُّك بالسُّنَّة، وهذا مثل قوله -عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ**﴾ [الزخرف: ٤٣]، وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ**﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وحري بكل مؤمنٍ ومؤمنةٍ أن يفعل هذا، ويتمسَّك بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ويعمل بتقوى الله والسمع والطاعة، والعجب ممَّن عنده معرفة بهذا الحديث، ثم إذا قرأه على الناس يأخذ بأوله ويترك آخره، فيقول: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»**، ولم يذكر الجملة الثانية وهي **«وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»**؛ لأن في قلبه هوى ضدَّ ولي الأمر، فلا يرى السمع والطاعة، فعليكَ -أخي المسلم- أن تقبل كلام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وتجعله على العين والرأس، وتبلغه كما قاله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فلا يجوز لأحدٍ أن يتعقَّب الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو الذي وصفه الله فقال: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: ٤]، وقال عنه: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾ [النجم: ٢] ؛ فهو أنصح الناس، وأرحم الناس، وأعلم الناس، والذي يُوحِي إليه يعلمُ السِّرَّ وأخفَى -سبحانه وتعالى- وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

- ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**، فلا يجوز أن نقول ما قاله بعض المتأخرين من أنَّ البدع تنقسم إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، أو نقول: إن البدع تنقسم إلى خمسة أقسام: بدعة واجبة، وبدعة مستحبة، وبدعة مباحة، وبدعة مكروهة، وبدعة محرَّمة؛ هذه تقسيمات مضادَّة لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: **«كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**، فلا يجوز أن نقول: ليس كل بدعة ضلالة؛ لأن هذا هو كلام الذي لا ينطق عن الهوى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فيجب أن نقول كما قال، فنقول: **«كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**.

◆ ما الموقف مما نُقل عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- من قوله: "نعمت البدعة هذه" في صلاة التراويح؟

- الجواب: أن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقصد البدعة اللغوية؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان يصلي بالناس، ثم ترك ذلك خشية أن يفرض عليهم، ثم بقي الأمر أن الناس يصلون أوزاعًا في عهد أبي بكر، ثم في أول خلافة عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يصلون أوزاعًا، ثم جُمِعُوا على إمامٍ، فلما رآهم اجتمعوا على إمام قال: "نعمت البدعة هذه"، يعني: الشيء الجديد الذي فقده الناس، وإلَّا فهو من سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- قال: **(وعن حذيفة قال: "كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تتعبدوها. فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا")**، يعني: أن العبادات توقيفيَّة، نتوقف فيها على الشريعة، فلا يجوز لنا أن نُحدث عبادة لم يأمرنا الشرع بها، ولم يفعلها الصحابة، والصحابة لا يُمكن أن يتعبَّدوا ببدعة؛ فعلينا أن نعرف أن الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- هم خير القرون، وكل ما فعله الصحابة وأجمعوا عليه فإنه هدى، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَالَّذِين**

﴿اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] ؛ فلم يفعل الصحابة بدعة بناء المساجد على القبور، ولا دفن الأموات في وسط المساجد، ولم يفعل الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- البدع التي يفعلها بعض الناس في الجنائز، ولم يفعل الصحابة هذه البدع التي تنتشر في أرجاء الناس -نسأل الله لنا ولهم الهداية-، لم يفعل الصحابة بدعة المولد، لم يحتفلوا بميلاد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أو بميلاد غيره، ولم يفعلوا احتفالًا في أول رجب، ولا في وسط شعبان، ولا في غير هذا؛ فعلينا أن نقتدي بهم.

- يقول الراوي: (كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقال: "أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟)، يقصد عبد الله بن مسعود.
- قال: (قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه)، يعني بعد قليل سترى هذا الأمر العجيب.
- قوله: (قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى)، يعني الحلقة دائرة، وفي وسط الحلقة رجل معه حصى.
- قوله: (فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة)، وهو يكبر معهم ويعد بالحصى، وهذا فيه إنكار الذكر الجماعي.
- قوله: (فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟)، أي ابن مسعود قال لأبي موسى: ماذا قلت لهم؟
- قوله: (قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك)، وهذا يدل على أن الناس يرجعون إلى الراسخين في العلم وإلى ولاة الأمر في الأمور الدينية، مع أن أبا موسى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقيه وعالم من علماء الصحابة، لكن هكذا يحترم بعضهم بعضًا ويتأدَّب العلماء مع بعضهم، وهكذا نقول لإخواننا المسلمين اليوم: ارجعوا إلى الراسخين في العلم في النوازل، وفيما يُشكل عليكم من مسائل الدين ومسائل العبادة، ارجعوا إلى العلماء الراسخين في العلم المعروفين بالسنَّة والاتباع.
- قوله: (قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى، ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق)، فلما جاء وشاهد صارت حلقة هنا وحلقة هنا، في كل حلقة رجل، صارت أعداد غفيرة من الحلقات، وفي كل حلقة رجل.
- قوله: (فوقف عليهم)، وفي رواية أنه كان متلثِّمًا حتى لا يعرفونه، لأنه يُريد أن يتأكَّد، وهذا فيه أن ولي الأمر يجب عليه أن يتأكَّد ويتثبَّت ويرسل العيون، ويتثبَّت من الأوضاع، وينظر في الأنشطة التي تكون في المجتمع، فقد تكون أنشطة تضر بالمجتمع، وقد تكون مضرَّة بدينهم، وكذلك جميع الأنشطة التي فيها خطر، فيُراقب ويتتبَّع.

- قوله: **(فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ فقالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعد بها التكبير والتهليل والتسبيح، فقال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- متوافرون)**، يعني أحياء متوافرون.
- قوله: **(وهذه ثيابه لم تبلَ)**، يعني العهد قريب بينكم وبين وفاة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قرابة العشرين سنة.
- قوله: **(وآنيته لم تكسر)**، فحتَّى أوانيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لم تُكسَر.
- قوله: **(والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة)**، يعني إمَّا أنكم بهذه البدعة تدَّعون أنكم أحسن وأهدى من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ولا يُمكن لمسلم أن يقول إنه أحسن من النبي! فصار الاحتمال الثاني هو الحق، وهو أنهم مفتتحو باب ضلالة.
- قوله: **(قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير)**، وهذا العذر ليس بوجيهٍ، وأهل البدع دائمًا يقولون: نحن نريد الذكر، تُنكر علينا الذكر؟!
- قوله: **(قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه)**، فما تكفي النية الصالحة وإرادة الخير، لابدَّ من موافقة السنة المحمدية، فالبدعة التي نشاهدها اليوم ينبغي أن لا نتساهل معهم ما دام انهم خالفوا السنة، ولا تكفي النية الصالحة.
- ثم ربط ابن مسعود بين هذه البدع في المسجد وبين الخروج على جماع المسلمين، وهذا يُسمَّى الحس الأمني، وهو أنَّك لا تتساهل في صغائر الأمور وصغائر الشَّرر، فإذا تساهلت في شرر صغير فسيؤول إلى الخروج.
- قال: **(وإن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم)**، فأعطاهم التحذير، وأنكر عليهم، وأزال هذا المنكر.
- ويجب على المسلمين أن يحذروا، وكذلك يجب على المربين وعلى ولاة الأمر وعلى الجهات كلها أن تحذر، فهناك من يبدأ بدايات خطيرة، لكنها عند نظر بعض الناس أن هذه أشياء يسيرة، لكن تؤول إلى أشياء خطيرة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

